ملامح المدرسة التاريخية المكية

الدكتور: عائض ابن محمد الزهراني *

* بكالوريوس في التاريخ من جامعة الملك عبدالعزيز.
- ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من الجامعة نفسها.
- دكتوراة في الفلسفة والنقد التاريخي من جامعة أم القرى.
- يعمل الآن وكيلاً لكلية خدمة المجتمع والتعليم المستمر - جامعة الطائف.
- عضو مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز بالرياض.

التمهيد:

لم يكن العرب قبل الإسلام بمعزل عن الحياة الفكرية التي تميزت بها الحضارات المعاصرة كالرومانية واليونانية والفارسية، بل كان للعرب موروثاتهم الفكرية والتاريخية وإن اختلف الشكل العام لحياتهم الفكرية عن غيرهم من سائر الأجناس؛ نظراً لطبيعة الحياة واختلاف البيئة العربية لدى سكان شبه الجزيرة وبشكل خاص منطقة الحجاز ذات الطبيعة الجغرافية الخاصة، حيث سيطرت الرواية الشفوية على مورثاتهم التاريخية وأدت دوراً مميزاً وكانت الوسيلة الوحيدة لنقل التراث. ويعود ذلك بطبيعته إلى عدم اهتمام أهل الحجاز بأمور القراءة والكتابة، حيث إن طبيعة الحياة في ذلك الوقت لم تضعهم في حاجة ماسة إلى تعلم القراءة والكتابة فجاءت المعرفة التاريخية لديهم لتتماشى مع طبيعة الحياة العربية في ذلك الوقت[1].

وكان الاعتماد على الرواية الشفوية وسيلة مهمة من وسائل جمع البيانات والمعلومات، فهي الحل الأنسب لسرد تاريخ العرب الذي جاء خليطاً من القصص والأساطير، وكانوا يتناقلون التاريخ مشافهة من جيل إلى جيل؛ فأحاديث الحروب بين القبائل المختلفة التي سميت بأيام

(١) عبدالله محمد المطوع. الرواية الشفوية ٠- الرياض: **مجلة الدارة**، ع ٢ - ١٤٢٢هـ، ص٩٧.

العرب والأنساب والتفاخر بها هي أنماط المعرفة التاريخية لديهم[١].

وقد أشار المسعودي إلى أهمية الأنساب لدى العرب بقوله: وليس أمة من أمم الشرقيين وغيرهم من سلف ولا خلف إلا ولها تاريخ ترجع إليه وتعول عليه في أكثر أمورها ينقل ذلك خلفاً عن سلف وباق عن ماض إذ كان به تعرف الحوادث العظام والكوائن الجسام وما كان في الأزمان الماضية والدهور الخالية ولولا ضبط ذلك وتقييده لانقطعت الأخبار وجهلت الأنساب[٢].

وقد اهتم أهل الحجاز بشكل خاص بالعناية بأنسابهم والاحتفاظ بها وحفظها عن ظهر قلب وتوارثوا ذلك وتفاخروا بنسبهم بين القبائل[٣].

وتعتبر أيام العرب مصدراً آخر للمعرفة التاريخية حيث كانوا يتخذون من بعض الحوادث المهمة مبدأ للتوقيت كبناء الكعبة أو عام الفيل وانهيار سد مأرب وهجرة الأزد[٤] وقد سجلت أيام العرب الوقائع التي دارت بين القبائل العربية وبعضها البعض. وأهم تلك الأيام يوم البيضاء، يوم خزار، حرب الفجار، حرب داحس والغبراء[٥] وقد كثرت أيام العرب قبل الإسلام وهذا ما دفع أبا عبيدة (ت٢١١هـ) إلى تصنيف كتاب أورد فيه ألفاً ومئتي يوم من أيام العرب[٦] . كما أحصى أبا الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني من أيام العرب ألفاً وسبعمئة يوم جمعها في كتاب أفرده خصيصاً لهذا الغرض[٧].

مصادر المعرفة التاريخية الإسلامية:

إن التاريخ الإسلامي هو تاريخ هذا الدين، بل هو تاريخ تطبيقه ومن هنا تأتي العلاقة الوثيقة بين التاريخ والدين؛ فالتاريخ الإسلامي يروي لنا تاريخ العقيدة الصحيحة.

لذلك استمرت مصادر المعرفة التاريخية تؤدي دوراً بارزاً في شكل العمل التاريخي بعد

---

(١) سيد عبدالعزيز سالم . **التاريخ والمؤرخون العرب** .- القاهرة : مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١م، ص ١٢٤ .

(٢) المسعودي، علي بن حسين . **التنبيه والأشراف**؛ تحقيق لجنة تحقيق التراث .- مصر : دار الهلال، ١٩٩٣م، ص١٦٧.

(٣) كارل بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**؛ ترجمة عبدالحليم النجار ورمضان عبدالتواب .- القاهرة : دار المعارف، ج ٣، ص٧.

(٤) الأمين محمد عوض الله. **العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية** .- الدمام : مكتبة المتنبي، ١٤٢٦هـ، ص١١.

(٥) الكردي، محمد طاهر . **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم** ؛ تحقيق عبدالملك بن دهيش .- بيروت : دار خضر، ١٤٢٠هـ، م٣، ج٦، ص٥٦. بطرس البستاني. **موسوعة الحضارة** .- بيروت : المركز الثقافي ، ١٩٩٩م، ج١، ص ٥٨ - ٥٩.

(٦) السيد عبد العزيز سالم . **تاريخ العرب قبل الإسلام** .- بيروت : دار النهضة، ١٩٧٦م، ج١، ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٧) الألوسي، محمود شكري . **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**؛ تحقيق محمد بهجة الأثري .- القاهرة : دار الكتب، ١٩٢٤م، ج٣، ص٦٨.

ظهور الإسلام، وظهـور مصادر جديدة ومؤثرة في المعرفة التاريخية تمثلت تلك المصادر في دستور التشريع الإسلامي «القرآن الكريم» وظهور «علم الحديث» هذا إلى جانب ظهور المؤرخين والرواة الذين تناولوا «سيرة الرسول ﷺ» لذلك اعتمدت المعرفة التاريخية في كتابتها على الأصول الإسلامية وأصبحت تتكئ على خطوط هذا المنهج ونظرياته[١] من هنا فقد تنوعت مصادر المعرفة التاريخية في صدر الإسلام لتشمل:

أولاً : القرآن الكريم:

ارتبطت الكتابة التاريخية الإسلامية منذ البداية بعلوم الشريعة الإسلامية، حيث حمل لواء التاريخ الإسلامي منذ البداية رجال الدين الإسلامي وكان القرآن الكريم أحد أهم مصادر التاريخ الإسلامي . يقول ابن خلدون : «أعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل جملاً جملاً بحسب الوقائع . ولم يزل متناقلاً بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك إلى الطبري الواقدي والثعالبي وأمثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه»[٢].

ويؤكد ذلك شمس الدين السخاوي أحد مؤرخي الإسلام العظام بقوله: «إن البداية الحقيقية لعلم التاريخ عند المسلمين ذات أصل ديني بتأثير ما ورد في القرآن الكريم من مادة تاريخية تتناول قصص الأمم الماضية وأخبار الأنبياء السالفين»[٣] وكما اشتملت آيات القرآن الكريم على أشكال كثيرة من الفعل التاريخي وكانت منهلاً سهلاً أمام مؤرخي الإسلام الأوائل ومصدر صدق لأقوالهم وكتاباتهم منها ما جاء في قوله تعال: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٤] وغيرها من آيات القرآن الكريم الدالة على الزمن ووقوع الفعل التاريخي العنصر الرئيس في

(١) السلمي، محمد بن صامل . **منهج كتابة التاريخ الإسلامي** ،- الرياض : دار طيبة، ١٤٠٦هـ، ص٢٨٦.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي . **المقدمة** ،- بيروت : أحياء التراث، ١٩٨٧م، ص ٤٣٨-٤٣٩.

(٣) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن . **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ،- دمشق : دار المنار، ١٣٤٩هـ، ص٩١.

(٤) سورة آل عمران، الآية : ١٣٧.

الكتابة التاريخية وضرورة الوقوف عليه لاتخاذ العبرة والعظة ممن سبقنا من أمم سبقت واندثرت والوقوف على أخبارهم وقصة حياتهم فكان القرآن الكريم أحد أهم مصادر المعرفة التاريخية فظهرت المؤلفات الإسلامية التي كان القرآن الكريم مصدراً لها مثل ابن مقاتل سليمان بن بشر الأزدي (ت١٥٠هـ) وكتابه التفسير الكبير[١] وتفسير الطبري (ت٣١٠هـ)[٢] والفراء البغوي (٥١٦هـ) صاحب معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) صاحب الكشاف في تفسير القرآن والبيضاوي (ت ٦٩١هـ) صاحب أنوار التنزيل وأسرار التأويل[٣] وغيرهم من كبار علماء ومؤرخي الإسلام الذين استمدوا من القرآن الكريم مادة علمية وتاريخية مهمة.

ثانياً : علم الحديث:

هو المصدر الثاني من مصادر المعرفة التاريخية بعد الإسلام وقد أثر الحديث الشريف بشكل كبير في المعرفة والكتابة التاريخية في صدر الإسلام خاصة ظهور طريقة الإسناد لدى المؤرخين، تلك التي انتهجها أئمة الحديث الشريف للوصول إلى الأحاديث الصحيحة الصادرة عن رسول الله ﷺ فقد اتبع علماء الحديث أفضل وأدق منهج علمي لتدوين الحديث لذلك نشأ علم التاريخ على هامش العلوم الشرعية وفي مقدمتها علم الحديث؛ لذلك فقد اطمأن مؤرخو الإسلام إلى وضع التصورات والمفاهيم لكثير من الأحداث التاريخية المعتمدة على أساس نصوص من الحديث الشريف[٤]. فقد اهتم جامعو الحديث الشريف بمعرفة رجال الحديث وضبط أسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء، والصفات التي ينبغي توافرها في المحدث الثقة وهو ما يعرف

---

(١) خليفة، حاجي مصطفى. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**؛ نشر محمد شرف الدين - اسطنبول، ١٩٤٣م، ج١، ص٤٣٨-٤٣٩.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان . **سير أعلام النبلاء** ؛ تحقيق شعيب الأرناووط - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م، ج ٧، ص ١٨٢. قاسم عبده قاسم . **تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية** - القاهرة : دار عين، ٢٠٠٠م، ص١٩.

(٣) عطايا الدمشقي. **المنتخب في تاريخ آداب العرب** - مصر : مطابع الهلال بالفجالة، ١٩١٣م، ص١٠٠-١٠٢.

(٤) روز نتال، فرانتز . **علم التاريخ عند المسلمين**؛ ترجمة صالح العلمي - بغداد : دار المثنى، ١٩٦٣م. حسين نصار . **نشأة الكتابة التاريخية** - القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٦م، ص ١٨.

بنظريــة الجــرح والتعديــل ويقال إن أول من ألف في هذا البــاب هو يحيى بن كباب (ت ١٩٨هـ)[١].

وكانت طبقة الإسناد الخاصة برجال الحديث أحد أهم أنماط الكتابة التاريخية الإسلامية على مدى قرون طويلة وسار عليها كثير من محدثي الإسلام الكبار وعن أهميتها التاريخية يقول أحد مؤرخي الإسلام: «أحمده أن خص من بينهم آخر الأمم بالأسانيد ليفضحوا الباطل ارتياباً ويوضحوا طرقاً وأبواباً فشمروا في طلب المشامخ عن ساق العزم ثياباً وحثوا في لقائهم من نياق الحزم ركاباً»[٢].

وكان ذلك دافعاً لاهتمام علماء ومؤرخي الإسلام بجمع الحديث أمثال أبي جعفر محمد بن عمرو الحافظ المتوفي بمكة (٣٦٢هـ) وهو صاحب كتاب الجرح والتعديل[٣] والهروى أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت٤٣٥ هـ) وله كتاب المستدرك على صحيح البخاري ومسلم[٤] وغيرهم من رجال الحديث الذين أثر منهجهم في تدوين الحديث وجمعه من مؤرخي الإسلام منذ البداية. هذا إلى جانب الاعتراف بحقيقة مفادها: أن الكتابة التاريخية في صدر الإسلام حمل لواءها رجال علم الحديث حيث كانت هناك صعوبة واضحة في الفصل بين رجل الدين والمؤرخ فرجل الدين هو مؤرخ وكاتب تاريخي والعكس، ويشهد التاريخ الإسلامي بذلك فكل رجال الدين القدماء لهم إسهاماتهم التاريخية الواضحة وكل مؤرخي الإسلام الأوائل أصحاب مصنفات في مختلف علوم الدين فكان لقب شيخ يطلق على المؤرخ ورجل الدين على السواء[٥].

هذا إلى جانب مجموعة كبيرة من مؤرخي الإسلام الذين اهتموا بعلم الحديث

---

(١) أدم متز. **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ؛ ترجمة محمد عبدالهادي .- بيروت : دار الكتاب، م١، ١٣٨٧هـ، ص٣٥٧. محمد بن صامل السلمي . **منهج كتابة التاريخ الإسلامي**، ص٢٧٣.

(٢) إبراهيم بن حسن البقاعي. **عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران**؛ حققه حسن حبشي .- لقاهرة : دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١، ص٣١.

(٣) ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن علي. **شذرات الذهب . في أخبار من ذهب** .- بيروت : دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٢، ص٢٩٥.

(٤) البغدادى، إسماعيل باشا . **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** .- إسطنبول، ١٩٥١م- ج٥، ص ٤٣٧. الزركلي، خير الدين . **الأعلام** .- بيروت : دار العلم، ١٩٩٠م، ج٤، ص٦٦.

(٥) الدوري، عبدالعزيز . **نشأة علم التاريخ عند العرب** .- دبي : مركز زائد للتراث، ٢٠٠٠، ص١٥.

الشريف نظراً للصدق الذي تميز به علماء الحديث بذكر الإسناد الذي يقول عنه محمد ابن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[1]. ويقول ابن خلدون: «الرواية المسندة إلى مؤلفيها وواضعيها؛ لأنه الشأن الأهم من التصحيح والضبط فبذلك تسند الأقوال إلى قائلها والفتيا إلى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها وثمرتها الكبرى من معرفة صحيح الأحاديث من موضوعها ولم تبق ثمرة الرواية والاشتغال بها إلا في تصحيح تلك الأمهات الحديثية وسواها من كتب الفقه وغير ذلك من الدواوين والتآليف العلمية واتصال سندها بمؤلفيها؛ ليصح النقل عنهم والإسناد إليهم»[2].

السير والمغازي:

وهـي المصدر الثالث للتأريخ الإسلامي بشكل عام، حيث اتخذ مؤرخو الإسلام منذ البداية من السيرة النبوية الشريفة مادة للتأريخ تناولتها أقلامهم بالكتابة والتصنيف منذ العهد الأول للإسلام. وكان للسيرة النبوية الشريفة أثرها على تطور كتابة التاريخ الإسلامي وظل مؤرخو الإسلام على تتابع العصور يتناولون السيرة النبوية بأقلامهم، واعتمدوا على الحقائق الإيمانية المسلمة إلا أن طريقة تناول كل من هؤلاء تختلف عن الآخر حيث ركز كل منهم على جانب من جوانب حياته ومنهم من يجعل من السيرة محوراً تدور حوله أحداث التاريخ الإسلامي وأعمال رجاله وصانعيه الأولين[3].

من ثم فقد اهتم المؤرخون بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله فقام مؤرخو الإسلام بكتابة السيرة النبوية للاهتداء بها والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي وفي النظم الإدارية[4]. ولذلك شهد العصر الأول للإسلام ظهور مجموعة من المؤرخين من كتاب السيرة النبوية أمثال أبان بن عثمان بن عفان (ت١٠٥هـ)[5]. ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى

(١) العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبدالله . **تاريخ الثقات** .- مكة : دار الباز، ١٤٠٥هـ، ص٦٠.

(٢) ابن خلدون . **المقدمة**، ص٤٢٢.

(٣) محمد عبد الغني حسن . **التراجم والسير** .- القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٩، ص٣١.

(٤) أحمد أمين . **ضحى الإسلام** .- القاهرة : الهيئة المصرية، ١٩٤٦، ج١، ص٣١٩.

(٥) أبان بن عثمان بن عفان أول من كتب في السيرة انظر ترجمته في : الزهري، محمد بن سعد . **الطبقات الكبرى** .- بيروت: دار صادر، ١٣٩٠هـ ، ص ٥٠ . الزركلي . **الأعلام**، ج ١، ص ٢٧ .

(ت١٢٤هـ)[١]. وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٤هـ)[٢]. ومحمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ) ولـه مجموعة من الكتب المهمة أمثال: التاريخ والمغـازي والمبعث وكتاب أخبار مكة وكتاب الطبقات وفتوح الشام وفتوح العراق والجمل والسيرة وغيرها من المؤلفات[٣].

ومحمد بن إسحاق (ت١٥١هـ) صاحب السيرة النبوية التي أعاد كتابتها عبد الملك بن هشام ووهب بن منبه[٤] (ت١١٦هـ). المولود ببلاد اليمن (٣٤هـ) والذي كتب كثيراً من السير والمغازي[٥] وكان عبيد بن شرية الجرهمي (ت٦٧هـ)، أحد كتاب السير والمغازي وهو صاحب كتاب الملوك وأخبار الماضين وهو من أوائل الكتب التي ظهرت في تاريخ الإسلام[٦].

كما ظهرت مجموعة أخرى من المؤرخين في صدر الإسلام أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى اليمني (ت ٢٠٩هـ)[٧] وعوان بن الحكم (ت١٤٧هـ)[٨] وسيف بن عمر (ت١٨٠هـ)[٩]

---

(١) محمد بن مسلم واسع الثقافة والمعرفة . له مؤلفات كثيرة في علوم كثيرة انظر ترجمته في : الذهبي . **سير أعلام النبلاء**، ج ٦، ص ١١٥. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن . **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ٠- القاهرة : دار الكتاب، ١٣٩٨هـ، ص ١٢٧. الزركلي . **الأعلام**، ج٥، ص ٩٧.

(٢) شرحبيل بن سعد الخطمي . مولى الأنصار . عالم بالمغازي والسير انظر ترجمته في : الزركلي . **الأعلام**، ج ٣، ص ١٥٩.

(٣) اشتهر برحلاته في طلب العلم انظر ترجمته في: المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**٠- القاهرة : مطبعة محيى الدين عبد الحميد، ١٩٥٨، ج٢، ص٨٥ . الذهبي . **سير أعلام النبلاء**، م٩، ص ٤٥٧.

(٤) **وهب بن منبه الصنعاني . مؤرخ إخباري ملم بالأساطير والإسرائيليات** انظر ترجمته في: ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج٢، ص١٨٠.

(٥) بطرس البستاني . **موسوعة الحضارة**، ج٣، ص٣٨٥/ ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد . **شذرات الذهب** ٠- بيروت: دار الآفاق، ١٩٧٥م، ج ١، ص ١٥٠.

(٦) عبيد بن شرية : إخباري راوٍ من أهل اليمن . أمر معاوية كتابه أن يدونوا كل ما يقوله. انظر ترجمته في : ابن النديم . **الفهرست**، ص١٠٢.

(٧) أبوعبيدة من علماء اللغة والأدب والتاريخ وأصبح عالم زمانه . قربه الخليفة هارون الرشيد . له مؤلفات جمة بلغت ٢٠٠ مؤلف. انظر ترجمته في : الكتبي، محمد بن شاكر . **وفوات الوفيات**؛ تحقيق إحسان عباس ٠- بيروت : دار صادر، ١٩٧٣م، ج ٢، ص ١٦٤. الزركلي . **الأعلام**. ج ٧، ص٢٧٢.

(٨) عوان بن الحكم: مؤرخ وأديب اشتهر بكتابة (التاريخ) كما له في سيرة معاوية وبني أمية . النديم . **الفهرست**، ص١٠٧.

(٩) سيف بن عمر الأسدي: كوفي الأصل . اشتهر بكتابة السير والمغازي . له كتاب الفتوح الكبير وكتاب الردة وكتاب الجمل انظر ترجمته في : القلقشندي أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**؛ تحقيق محمد حسين ٠- بيروت : دار الفكر ١٩٨٧م، ج ٤، ص ٢٠٧، الزركلي . **الأعلام**، ج٣، ص ١٥٠.

ونصر بن مزاحم(٢١٢هـ)[1] وأبي الحسن بن أحمد الهمداني (ت٣٣٤هـ)[2]. هكذا كانت السيرة النبوية الشريفة وكتابة السير والمغازي بشكل عام أحد روافد المعرفة التاريخية لدى العرب بعد الإسلام.

وقد أصبحت نموذجاً يحتذى به لدى مؤرخي الإسلام. هذا إلى جانب مؤرخي السير والمغازي والفتوحات الإسلامية والطبقات بكتاباتهم المعتمدة على الرواية الشفوية، حيث مهدوا للمؤرخين الذين كتبوا بعدهم التاريخ ورسموا لهم منهجاً يسيرون عليه في التحقيق والكتابة وكانت هذه العوامل مجتمعة دافعاً لظهور التاريخ الإسلامي[3].

مدرسة التاريخ المكيّ:

صاحب ظهور مدرسة التاريخ المكي الدعوة لنشر الدين تلك الدعوة التي انطلقت من أرض مكة المشرفة، حيث ميلاده ومبعثه ﷺ، وصاحب مرحلة نشر الدين رحيل كثير من أبناء مكة مع قوات المسلمين يشاركون فيها وفي صنع تلك الأخبار والأحداث ويكتبون بالسيوف جانباً من فقهها وتاريخها وكانوا هم التاريخ الجديد، حيث استقر كثير منهم بمختلف البلدان المفتوحة ومن ثم فقد وقفوا على عادات وتقاليد أصحاب البلدان الأصليين وتأثروا بهم وظهر ذلك جلياً في كتاباتهم فيما بعد. كذلك أصبحت مكة منذ ظهور الإسلام بها بلد جذب لأنظار المسلمين الأوائل وقبلة لأعلام الإسلام للوقوف على تعاليم الدين الإسلامي والاستزادة من علوم الشرع والإقامة في كنف بيت الله الحرام فأصبحت مكة موطناً لكثير من مؤرخي الإسلام الذين أثروا حركة التأريخ المكي بشكل كبير بمؤلفاتهم التاريخية القيمة وبالتالي فقد أم مدرسة التأريخ المكي مؤرخون مسلمون سواء من أبناء مكة أو الوافدين عليها سواءً لطلب العلم أو المجاورة

---

(١) نصر بن مزاحم بن سيار المنقري: مؤرخ في السير والمغازي. له مؤلفات كثيرة أغلبها في عهد علي بن أبي طالب. انظر ترجمته في: الزركلي. **الأعلام**، م ٨، ص ٢٨.

(٢) السيد عبد العزيز سالم. **التاريخ والمؤرخون**، ص٤٤، ٤٥.

(٣) مؤرخ عالم بالأنساب والفلك والفلسفة. له مؤلفات مميزة كالإكليل وسرائر الحكمة والأيام وصفة جزيرة العرب. انظر ترجمته في: السيوطي، جلال الدين. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ٠- مصر: دار العلم، ١٣٢٦هـ، ص ٢١٧/ الزركلي. **الأعلام**، ج ٢، ص ١٧٩.

والإقامــة بها أو ممن اتخذهــا موطناً له حتى وفاته[١] وقد مــرت مدرسة التاريخ المكي منــذ العهــد الأول للإســلام بعــدة مراحــل.

المرحلة الأولى: (التاريخ الشفوي):

تتعدد المصادر التاريخية التي يعتمد عليها المؤرخون في تدوين أحداث التاريخ كالرواية الشفوية التي لها مكانة متميزة في تراثنا الإسلامي وشهدت البدايات الأولى لظهور الرواية التاريخية في صدر الإسلام والتي تمثلت في السماع عن طريق الرواية الشفوية نظراً لغلبة الأمية في العهد الأول للإسلام فكان الاعتماد على الحديث والسرد الشفوي للحدث التاريخي هما الطريق الذي وقف من خلاله أبناء الصدر الأول للإسلام على تعاليم ونشر الدين الإسلامي، حيث يعتبر تميم الداري الصحابي أول من قص بمسجد الرسول ﷺ بعد أن استأذن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجلوس بالمسجد يوم الجمعة[٢].

ثم توالى ظهور رواة التاريخ الذين تميزوا بسرد الروايات والقصص والحوادث التاريخية بدءاً بسيرة الرسول ﷺ وأصحابه الخلفاء الراشدين من بعده ودورهم في بناء الدولة الإسلامية وتثبيت أركان الإسلام التي أفادت كثيراً حكام الإسلام للوقوف منها على نظم الحكم والإدارة[٣].

وشغــف علماء الإسلام بالوقوف على الحضارات القديمة وحضارات الأمم الأخرى كالفرســ والإغريق والمصريين القدماء وسعيهم الجاد لأجل تعلم أمور الكتابة والإقبال علــى القــراءة وحبهــم للتاريخ ووجدوا أنهــا إلى حد كبير تاريخ مخــترع لا يكاد يقترب تدريجيــاً من الحقائق إلا مــع الاقتراب من العصر الإسلامي[٤] وتحقق ذلك مع انتشار الكتابة وإقبال المسلمــين عليها في ظهور المؤلفات التاريخية والإسلامية المختلفة لرجال

---

(١) محمد الحبيب الهيلة . **التاريخ والمؤرخون بمكة** ٠- لندن : مؤسسة الفرقان ، ١م٩٤م، ص ١٦.

(٢) أبو زيد، عمر بن شبة النميري . **تاريخ المدينة النبوية**؛ حققه فهيم محمد شلتوت، ج١ ، ص ١١ . فاروق حمادة . **مصادر السيرة النبوية** ٠- المغرب : دار الثقافة، ١٤٠٠هـ، ص ٣٦ .

(٣) بطرس البستاني: **موسوعة الحضارة الإسلامية**، ج ٣، ص ٣٨٤. عماد الدين خليل . **دراسات في السيرة** ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ص ٣٧.

(٤) عبدالعزيز الدوري . **نشأة علم التاريخ عند العرب** ٠- بيروت : المطبعة الكاثوليكيه، ١٩٩٦م، ص . شاكر مصطفى . **التاريخ العربي والمؤرخون** ٠- بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ج ٢، ص ١٤٠.

عاشـوا في القرن الأول الهجري أمثال: الحسن بـن يسار (ت١١٠هـ) الذي كتب رسالة عـن فضائل مكة المشرفة[١] والتي كانت فيما بعد أحـد المصادر الرئيسة للتقي الفاسي أحـد مؤرخي مكـة في القرن التاسع الهجري (ت٨٣٢هـ) في كتابـه شفاء الغرام وكتاب الزهـور المقتطفـة في تاريخ مكة المشرفـة[٢] . كما شهد القرن الثـاني الهجري انتشاراً أوسـع للمؤرخين فظهـر مؤلف في تاريخ مكـة المشرفة[٣] لصاحبه عثمـان بن ساج (ت ١٨٠هـ) والذي يعتبر أحد المصادر الرئيسة لأبي الوليد الأزرقي من أهل القرن الثالث الهجري في كتابه أخبار مكة[٤].

المرحلة الثانية: (التاريخ المكتوب):

تتابع ظهور المؤرخين في هذه المرحلة بشكل كبير وتطور المنهج التاريخي مع بدايات القرن الثالث الهجري بمختلف بلدان العالم الإسلامي نتيجة لانتشار الدعوة إلى التعليم واتساع حركة ترجمة العلوم والرحلة في طلب العلم التي أمها مؤرخو الإسلام وعلماؤه بشكل عام، مما نتج عنه اتساعٌ في أفق المؤرخ ليصبح ذا نظرة شاملة فظهرت كتابات ابن عبد الحكم(٢٥٧هـ) في التاريخ إلى جانب الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧هـ) وهو صاحب أول مؤلف في تاريخ الإسلام مرتب على السنين وهو من أصحاب المؤلفات الضخمة وله كتاب: المثالب، المعمرين، بيوتات العرب، بيوتات قريش وغيرها من المؤلفات[٥]. كما ظهر كتاب المعارف لابن قتيبة المولود ببغداد عام (٢١٣هـ) وقد تطور علم التاريخ الإسلامي على يديه واهتم بتراجم الصحابة والأنساب وله كثير من المؤلفات التاريخية المهمة مثل كتاب

---

(١) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج ١، ص ١٨٠-١٩٨م.

(٢) تقي الدين الفاسي، محمد بن أحمد . **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ؛ تحقيق عمر عبدالسلام ·- بيروت : دار الكتاب، ١٤٠٥هـ، ص ١٨٠/١٩٨.

(٣) شاكر مصطفى . **التاريخ العربي والمؤرخون** ·- بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ج ٢، ص١٤٠.

(٤) تقي الدين الفاسي، محمد بن أحمد علي . **الزهور المقتطفة في تاريخ مكة المشرفة**؛ تحقيق على عمر ·- القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠١م، ص٥.

(٥) مؤرخ عالم بالأدب والنسب . له مؤلفات كثيرة. نديم الخلفاء . أشهر مؤلفاته تاريخ الأشراف والخوارج وخطط الكوفة. انظر ترجمته في : ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج٦، ص١٦-١١٤ . النديم . **الفهرست**، م ١، ص ٩٩ . الزركلي. **الأعلام**، م٨، ص ١٠٤/١٠٥.

المعارف الذي تناول فيه تراجم الصحابة والسير والفتوح والمغازي وإنشاء المدن وغيرها كثير من الكتب في مختلف المجالات(١). كما ظهر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ). والذي كان متفقهاً في جميع العلوم وعلوم القرآن والشعر واللغة وله كثير من المؤلفات أبرزها كتاب تاريخ الرسل والملوك(٢). والواقدي أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ) من أهل المدينة الشريفة وكان عالماً بالمغازي والسير والفتوح وله مجموعة من المؤلفات منها : التاريخ والمغازي والمبعث وكتاب أخبار مكة(٣) وإلى جنبه يقف أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) الذي قاربت تصانيفه من مئتي مصنف يأتى في مقدمتها كتابه : مكة والحرم وقصة الكعبة، إلى جانب مجموعة أخرى من مؤلفاته : مقاتل الأشراف، الجمل وصفين، فضل عثمان رضي الله عنه، فتح الأهواز، فتح أرمينية، وغيرها(٤).

وهناك كثيرون غيرهم من مؤرخي الإسلام العظام في بدايات مرحلة التأريخ الإسلامي، وكانت مكة بثقلها الديني الكبير مركز إشعاع ومصدر إلهام ومقصداً لكثير من هؤلاء المؤرخين، كما ظهر على أرضها من أبنائها والوافدين عليها من أم حركة التأريخ المكي وأصبح إماماً لمدرسة التأريخ بها ومصدر إلهام لمن جاء بعده من مؤرخي

---

(١) عبدالله بن مسلم الدينوري من رموز الأدب ومن المصنفين المكثرين من أبرز مؤلفاته : **أدب الكاتب، والمعاني والشعر والشعراء والإمامة والسياسة** انظر ترجمته في: ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، م ١، ص٢٥١ . الزركلي . **الأعلام**، م٤، ص ١٣٧. النديم. **الفهرست**، م١، ج٢، ص٢٣٥. الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد . **تاريخ بغداد** ·- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٨٦م، ج١١، ص٤١١-٤١٢. ابن الأنباري كمال الدين عبد الرحمن بن محمد: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ·- القاهرة : دار نهضة مصر، ١٩٦٧، ص٢٠٩-٢١٠. محمد محمود إدريس.**علم التاريخ عند المسلمين** ·- القاهرة : دار الفكر، ٢٠٠٦م، ص١١٤.

(٢) القفطي أبو المحاسن، علي بن يوسف . **أنباه الرواة على أنباه النحاة** ؛ تحقيق محمد إبراهيم ·- القاهرة : دار الكتب، ١٩٥٠-١٩٧٤، ج٣، ص٨٩-٩٠. ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج ١، ص ٤٨ .

(٣) الساعي، تاج الدين . **الدر الثمين في أسماء المصنفين**؛ تحقيق أحمد شوقي ومحمد سعيد ·- الرباط : دار الأرقم، ١٤٢٨هـ، ج ٢ ، ص٤٨. المسعودى، أبو الحسن علي . **مروج الذهب ومعادن الجوهر**؛ تحقيق مفيد ·- بيروت : الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠م، ج٤، ص٣٣٠-٣٣١. النديم . **الفهرست**، ص ١١ .

(٤) ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٢٣٥-٢٤٣. السيد عبد العزيز سالم: **التاريخ والمؤرخون** ·- الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠٥هـ ، ص٤٤.

مكـة على مدى قرون طويلة أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) والذي أقام بمكة وتوفي بها وترك مجموعة مؤلفات في شتى ألوان العلوم والمعرفة[١].

ثـم جـاء أبو الوليد الأزرقـي (ت٢٤٤هـ) فكتـب في أخبار مكة وقد استقـى كثيراً من معلوماتـه الـواردة في كتابه عن روايـات مصدرها عبدالله بن عباس وتلاميذه[٢] حيث كانـت لديهـم معلومات وفيرة عن مكـة ويبدو أن الأزرقـي كان شغوفـاً بمعرفة الأحداث والأخبار التاريخية وسوف أستعرض منهجه في الصفحات التالية .

وإلى جانبه يقف قاضي مكة ومؤرخها الزبير بن بكار القرشي (ت٢٥٦هـ) وهو صاحب مجموعة ضخمة من المؤلفات التاريخية أهمها أخبار العرب وأيامها، وغيرها من الكتب التاريخية المهمة[٣]. ويعد كتابه (نسب قريش) من أوسع وأهم المؤلفات في نسب قريش واعتمد عليه من جاء بعده في معرفة نسب قريش أمثال الفاسي في كتابه العقد الثمين[٤].

هذا إلى جانب أحد أبناء مكة العظام أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي وهو أحد محدثي مكة (ت ٢٨٥ هـ) ولا يعرف له من المؤلفات سوى أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه يعتبر أهم ما كتب قديماً في تاريخ مكة وفضائلها وأخبارها [٥].

وبعد إسهامات كل من الأزرقي والفاكهي توقفت حركة التأليف بمكة المكرمة منذ أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلا ما ذكره بعض المؤرخين من معلومات تعريفاً بالمدن المقدسة والإشادة بفضائلها، ودخل تاريخ مكة المكرمة في غياهب الإهمال

---

(١) أبو عبيد القاسم. من خرسان . اشتهر بغزارة علمه واتساع أفقه لذلك اتخذه القواد والأمراء مؤدباً لأبنائهم له مؤلفات كثيرة ومتنوعة أبرزها **كتاب الأموال – وكتاب الإيمان** . انظر ترجمته في : الذهبي . **سير أعلام النبلاء** ، م ١٠، ص ٤٩١. ابن حجر . **تهذيب التهذيب**، م ٦ ، ص ٣١٦ . ابن سعد . **الطبقات الكبرى**، م٧ ، ص ٣٥٥.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام . **مقدمة كتاب الأموال** ؛ تحقيق محمد خليل العراس ⁃ القاهرة : الكليات الأزهرية ، ١٩٨٦م، ص ٦ . كحالة، رضا . **معجم المؤلفين**، م١٠، ص ١٩١ . الأزرقي، محمد بن عبدالله . **أخبار مكة وما جاء فيها من آثار** ؛ تحقيق عبدالملك بن دهيش ⁃ مكة : دار الثقافة، ١٤٢٠هـ .

(٣) أبو الفرج الأصفهاني. **الأغاني** ⁃ القاهرة : دار الكتب المصرية، ١٩٥٦م، ج٩، ص٤١-٤٣.

(٤) محمد الحبيب الهيلة. **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص٢٠.

(٥) تقي الدين الفاسي. **العقد الثمين**، ج١، ص٤١١. الفاكهي، محمد بن إسحق . **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، ص٣،٥. البغدادى: **هدية العارفين**، م٢، ص٢٠. محمد الهيلة: **التاريخ والمؤرخون**، ص٢٢.

التاريخي والنسيان ولم تجد الاهتمام الكافي من المؤرخين، فهناك فجوات وثغرات مجهولة في تاريخها العلمي والحضاري واستمر ذلك النسيان قرابة خمسة قرون[١]

وقد تنبه وشكا من هذا الإهمال مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي وأشار إلى ذلك في مقدمته حينما يقول: «وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكة في جمع تاريخ لها على المنوال الذي جمعته، خصوصاً من الشيخ قطب الدين القسطلاني[٢] لأنه جمع شيئاً يتعلق بتاريخ اليمن ولعمري لو جمع ذلك لبلده كان أحسن، فإن الحاجة إليه داعية، وفي ذلك فوائد غير خافية»[٣].

وفي مطلع القرن التاسع الهجري أصبحت مكة مركزاً علمياً مهمّاً وملتقى طلبة العلم، حيث تخرج منها علماء كثيرون في مختلف المجالات وأصبحت منبعاً علمياً نهل منه كثير منهم ومنذ ذلك الوقت بدأت الكتابة التاريخية تحتل مكانة رفيعة وتأخذ مجالاً أوسع وأعم وأشمل.

ويعد المؤرخ تقي الدين الفاسي (ت٨٣٢هـ) أول من تصدى للكتابة التاريخية بمنهج يتسم بشيء من الاستقلالية عن المدرسة التاريخية المصرية[٤].

وحفلت مكة المكرمة بعد عصر الفاسي بعدد كبير من المؤرخين الذين كان لهم دور كبير في تطور الفكر والكتابة التاريخية واتضحت معالم المدرسة التاريخية المكية.

ولقد أحصى أحد الباحثين أن عدد المؤرخين ما بين القرنين الثالث والثالث عشر الهجري مئة وسبعة وثمانون (١٨٧) مؤرخاً مكياً قاموا بتأليف أربعمئة وستة وثمانين (٤٨٦) مؤلفاً تناولت التاريخ ومتعلقاته.

---

(١) عنقاوي، عبدالله عقيل. **المؤرخ تقي الدين الفاسي وكتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** - الرياض: الندوة العالمية، ١٣٩٩هـ، ص٢.

(٢) قطب الدين، محمد بن أحمد بن علي القسطلاني المكي (ت٦٨٦هـ) من علماء الحديث له مؤلفات كثيرة أبرزها اقتداء الفاضل باهتداء العاقل ومراصد الصلاة، تكريم المعيشة بتحريم الحشيشة. ترجم له الفاسي في **العقد الثمين**، ج١، ص٣٣١. ابن شاكر. فخر الدين محمد. **فوات الوفيات** - القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥١م، ج ٢، ص١٨١. ابن تغري بردي، جمال الدين. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** - القاهرة: دار الكتب، ١٩٨٦م، م ٧، ص٣٧٣.

(٣) تقي الدين الفاسي. **العقد الثمين**، ج ٢، ص ٧٩، ٨٠.

(٤) عبدالله عنقاوي. **المؤرخ تقي الدين الفاسي**، ص ٥.

ويذكر الهيلة أنه من خلال بحثه عن مؤلفات المؤرخين المكيين تبين له ما يلي:[1]

١ - لم يطبع من بين مجموعة هذه التآليف غير ٩٨ عنواناً.

٢ - أغلب ما طبع من الطبعات القديمة أو الطبعات التجارية .

٣ - الكتب المطبوعة المحققة تحقيقاً علمياً لا تصل إلى عدد أصابع اليدين.

٤ - إن ما بقي غير مطبوع من الإنتاج المكي التاريخي يبلغ مبدئياً ٥٠ عنواناً .

إن ما بقي من الإنتاج وهو ٥٠٥ عناوين وجدت لها ذكراً في المصادر ولم يتم العثور على أثر لها في كثير من فهارس المحفوظات.

على أن أهم ما يميز هذه المدرسة التاريخية هو أن أقطابها كان أغلبهم من مكة المكرمة عاشوا فيها وأغلبهم ولد فيها وقد خصوا هذه المدينة المقدسة بأكبر قسط من جهودهم وألموا بأحوال أهلها، حيث بلغت الحياة الفكرية والأدبية فيها خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) ذروة النضج والازدهار.

والدارس لكتابات مؤرخي الحجاز في هذا العصر يلحظ أنهم شكلوا بكتاباتهم مدرسة تاريخية مستقلة عن غيرها، كما عنوا بتدوين الأخبار المستقاة من المصادر الرئيسة وتتبعوا حوادث مكة المكرمة أولاً بأول وكتبوا حسب مشاهداتهم ومروياتهم وما يصلهم من معلومات.

ويعد هذا من الملامح المميزة لمدرسة التاريخ في مكة المكرمة وقتئذ حيث اتصفت كتابة التاريخ هناك منذ عصر الفاسي بجمع وتلخيص ما أنجزه المؤرخون السابقون.

كما امتازت هذه المدرسة التاريخية بالتوسع والعمق والشمول حتى شملت الكتابة التاريخية عدداً من المدن في الحجاز وصار أكثر المؤرخين ينتسبون إلى بلادهم أو مدنهم التي ظهروا فيها.

المرحلة الثالثة: (الكتابة التاريخية التخصصية المكية):

تلك التي بدأت مع القرن الثامن الهجري والتي شهدت تطوراً ملحوظاً في فكر وكتابة التاريخ لدى مؤرخي مكة وهي المرحلة التي شهدت ميلاد مجموعة كبيرة من فلاسفة التاريخ الإسلامي أصحاب الصيت والمصنفات المهمة سواءً من أبناء مكة أو الوافدين

---

(١) محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخون**، ص ١١.

عليها والمقيمين بها أمثال القسطلاني، محمد بن عمر بن محمد بن عمر. قدم مكة وسمع بها وحدث وأفتى ودرس بمدرسة المالكية بالشبيكة أسفل مكة ودرس بالمنصورية [1].

وظهرت في تلك الفترة بيوتات مكية سلكت سبيل العلم المختلفة وطرقت أبوابه في سبيل ذلك غير مكترثين بما يصادفونه من مصاعب وكأنهم وهبوا أنفسهم وأوقفوها على طلب العلم، لذلك لم يقف بينهم وبين اكتساب المعرفة بعد المسافات وتحمل الصعاب في عذابات السفر براً وبحراً إلى مواطن العلماء وحيث وجدوا في المشرق أو المغرب وكرسوا اهتماماً بعلم الحديث الشريف وعلم التاريخ والتراجم وخلفوا لنا تراثاً إسلامياً ضخماً في شتى النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية ومن أميز هذه الأسر «الأسرة الطبرية»: إحدى الأسر العريقة المجاورة بمكة المكرمة وهي بيت علم وثروة. وشهد تاريخ مكة ظهور عدد كبير من أبناء تلك الأسرة الذين تركوا بصمة واضحة على تطوير علم التاريخ بمكة على مدى قرون طويلة أمثال عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري مقرئ مكة (ت ٤٧٨هـ) وهو صاحب مجموعة من المؤلفات منها تعداد الآي، تلخيص في القراءة، الدرر في تفسير القرآن، طبقات القراء، عيون المسائل [2].

ومن أشهر علماء هذه الأسرة إمام الحرمين أبو الحسين الطبري(ت٤٩٨هـ) سمع على كثير من العلماء له نشاط ملموس في العلوم الشرعية والتاريخ أجاز له علماء من بغداد ودمشق والقاهرة أصبح شيخ الحجاز بلا منازع كما كان له حظوة عند أمراء مكة وسلاطين اليمن [3].

ومن أهل القرن السابع الهجري برع محمد بن أحمد بن عبد الله الطبرى(ت ٦٩٥هـ) والذي مهر في تحصيل العلوم وتميز في عدة فنون وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام وولي القضاء وله من المصنفات، كتاب التشويق إلى البيت العتيق [4]. ويأتي على رأس تلك

---

(١) الفاسي. **العقد الثمين**، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢/ ابن فهد، عمر بن محمد (نجم الدين) . **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** ؛ تحقيق فهيم شلتوت -- مكة : جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ، ج٣، ص٦٤. محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخون**، ص٤٦.

(٢) البغدادى. **هدية العارفين**، م٥، ص٦٠٨.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر . **البداية والنهاية**؛ تحقيق أحمد ملحم -- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، ج١٣، ص٣٦١ . تقي الدين الفاسي . **العقد الثمين**، ج٣، ص٦٥ .

(٤) عبد الله مرداد . **مختصر نشر النور والزهر**، ص٤٥٤.

الأسرة المكية العريقة في ذلك الوقت محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله (٦٩٤هـ) فقيه الحرم بمكة المكرمة وسمع من شيوخها وأفتى ودرس وتفقه. قال عنه الذهبي: الفقيه الزاهد المحدث، كان شيخ الشافعية ومحدث الحجاز[١]، وله مجموعة ضخمة من المؤلفات منها: «خلاصة العبر في سير سيد البشر، خير القرى في زيارة أم القرى، السمط الثمين في مناقب أم المؤمنين وغير ذلك»[٢].

هكذا كانت الأسرة الطبرية المكية إحدى الأسر العريقة بمكة ذات الأثر الواضح على تطور علم التاريخ المكي وأدت دورها العلمي إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري[٣] ومن الملاحظ أن هذه المرحلة من مراحل تطور التاريخ المكي شهدت ظهور عدد من الأسر المكية التي برع أبناؤها في مجال العلم والتصنيف فإلى جانب الأسرة الطبرية تقف «أسرة ابن ظهيرة»[٤] وهي إحدى الأسر القرشية المكية العريقة التي امتد عطاؤها العلمي لمدة ستة قرون بمكة وكان لأبنائها إسهاماتهم الواضحة على تطور علم التاريخ المكي خلال تلك المرحلة ويأتي على رأس تلك الأسرة محمد بن محب الدين أبو السعود بن ظهيرة المكي (ت٩٤٠هـ) وله مجموعة مؤلفات منها : الأخبار المستفادة فيمن ولي مكة المكرمة من آل قتادة، وله كتاب آخر يسمى (تاريخ جده)[٥].

هكذا ساهمت أسرة آل ظهيرة المكية في تطوير علم التاريخ بكثرة إنتاجها الفكري المتميز وبراعة أبنائها وإقبالهم على العلم وتحصيله ونشره فكانت إسهاماتها إضافات مهمة لمدرسة التاريخ المكي وإلى جانبها تقف: أسرة آل فهد:

---

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد . **سير أعلام النبلاء** ؛ تحقيق بشار عواد معروف ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ ، م ٦، ص٥٦.

(٢) الفاسي . **العقد الثمين**، ج٣، ص٦١-٦٢.

(٣) ابن العماد . **شذرات الذهب** ج٥، ص٤٢٥. حاجي خليفة. **كشف الظنون**، ج١، ص٧١٨./البغدادي. **هدية العارفين**، ج٥، ص١٠١. كحالة . **معجم المؤلفين**، ج١، ص٢٩٨.

(٤) المقريزي: **السلوك**، ج٤، ص٢٩٦. ابن حجر: **أبناء الغمر**، ج٣، ص٤٥. السخاوي. **الضوء اللامع**، م٤، ج٨، ص٧٨. الشوكاني، محمد بن علي . **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ٠- القاهرة : ١٣٤٨هـ ، ج٢، ص١٩٦. كحالة. **معجم المؤلفين**، ج١٠، ص٢٢١. البغدادي. **هدية العارفين**، م٦، ص١٨٢. محمد الهيلة: **التاريخ والمؤرخون**، ص٨٨.

(٥) حاجي خليفة . **كشف الظنون**، ص ٣. مراد . **المختصر من نشر النور والزهر**، ص١٥١-١٥٢. البغدادي. **هدية العارفين**، م٦، ص٢٣٤. كحالة . **معجم المؤلفين** – م١٠، ص ٢٤ .

وهي ثالثة الأسر المكية الكبيرة التي ظهرت وبرعت وتميزت خلال تلك المرحلة المهمة للتأريخ المكي والتي كان لأبنائها إسهاماتهم المهمة والمفيدة في قوة وتطور مدرسة التاريخ المكي بما حملته مؤلفات أبنائها من أفكار وإضافات جيدة في مجال التأريخ الإسلامي يذكر لنا عبدالحي الكتاني في كتابه : «فهرس الفهارس»، «وإذا تأملت في بطون الكتب قل ما تجد بيتاً من بيوت المسلمين فيه خمسة من الحفاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد يتوارثون الحفظ والإسناد غير هذا البيت العظيم»[1].

وكانت أسرة آل فهد تتمتع بمكانة علمية رفيعة ساعدها على ذلك وجود مكتبة ضخمة لديهم بها جميع المؤلفات في شتى صنوف العلوم والمعارف وظهر من أبنائها عدد كبير عملوا في التدريس والقضاء وأولعوا بتأليف المؤلفات في المجال الديني والتاريخي أمثال عمر بن فهد الهاشمي المكي ويلقب نجم الدين وحفظ كثيراً من الكتب وله كثير من المؤلفات المهمة منها «الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» جمع معجماً لشيوخه بالسماع والإجازة وله معجم لوالده وكتب بخطه كثيراً من الكتب والأجزاء وجمع عدة من المجاميع وتوفي في رمضان عام ٨٨٥هـ[2].

ومن مؤرخي تلك الفترة من آل فهد عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير ورحل في طلب العلم إلي بلاد الشام فدخل القدس وغزة ونابلس ودمشق وبعلبك وحماة وحلب والقاهرة وكتب عدة مصنفات تاريخية مهمة منها : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى وغاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام وله معجم شيوخه . ترجم لنحو ألف شيخ من شيوخه (ت ٩٢٢هـ)[3].

ويأتي على رأس هذه الأسرة جار الله محمد بن عبد العزيز. ولد بمكة ونشأ بها

---

(١) الكتاني، عبدالحي بن عبدالكبير . **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، ج٢ ٠- بيروت : دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ، ص ٥٨.

(٢) ابن فهد، عمر بن فهد. **الدر الكمين**، ج٢، ص١١٣١. السخاوي. **الضوء اللامع**، م٣، ج٦، ص١١٤. ابن العماد. **شذرات الذهب**، ج٩، ص٢٩٠. ابن فهد. **إتحاف الورى**، ص٦. الشوكاني. **البدر الطالع**، ج١، ص٥١٢. البغدادي. **هدية العارفين**، م٥، ص٧٩٤. كحالة: مرجع سابق، ج٧، ص٣١٨. محمد الهيلة، مرجع سابق، ص١٤٧. المعلمي، مرجع سابق، ج١، ص١٦٧.

(٣) السخاوي. **الضوء اللامع**، م٢، ج٤، ص١٩٨. ابن العماد. **شذرات الذهب**، ج١، ص١٤٥. الغزي. **الكواكب السائرة**، ج١، ص٢٣٨. البغدادي. **هدية العارفين**، م٥، ص٢٣٧. كحالة. **معجم المؤلفين**، ج٥، ص٢٥٥. المعلمي. **أعلام المكيين**، ج١، ص١٦٤.

على حب العلم والسعي في سبيله . دخل المدينة وجاور بها ثم رحل إلى بلاد الشام وبيت المقدس وحلب ودخل القاهرة واليمن وأجاز له خلق كثير، وبرع في التصنيف والتأليف حيث تجاوزت مؤلفاته الخمسين مؤلفاً منها: «تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج والطائف»، «التحفة اللطيفة في بناء المسجد الحرام والكعبة الشريفة» وكتابه الموسوعي لأخبار مكة «نيل المنى بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى»(١).

وكان لأسرة بني فهد على مدى القرون : الثامن والتاسع والعاشر الهجري أثر بارز في تنشيط الحركة العلمية في الحجاز بصفة عامة وفي مكة المكرمة بصفة خاصة واعترافاً بجميلها أطلق على أحد أبواب الحرم المكي «باب الفهود»(٢).

ونافست كذلك بعض الأسر المكية في ميادين العلوم والتاريخ ولم تصل إلى مكانة الأسر التي ذكرت ومن أهمها : أسرة القسطلاني التي تنسب إلى الحسن بن عبدالله بن أحمد القسطلاني ومن أشهر علمائها محمد بن أحمد بن علي القسطلاني (ت ٦٨٦هـ)(٣).

وعلى الرغم من قلتها إلا أنه كان لها نشاط في العلم والتاريخ وبرز فيها وبرع وبلغ شأناً كبيراً العالم المؤرخ عبدالله بن محمد بن خليل (ت ٧٧٧هـ)(٤).

هكذا كانت تلك المرحلة التي مرت بها مدرسة التأريخ المكي من أهم وأزهى عصورها التاريخية لما شهدته من ظهور عدد كبير من عظماء المؤرخين الذين أسهموا بشكل كبير في تطور الفكر والوعي التاريخيين وخطوا بعلم التاريخ بمكة خطوات واسعة.

خصائص مدرسة التاريخ المكي:

تميزت المدرسة التاريخية المكية على مدى تاريخها الطويل بعدة خصائص اجتماعية مهمة امتاز بها مؤرخوها بشكل كبير بالرغم من تأثرها بالمدارس التاريخية المجاورة

---

(١) ابن العماد. **شذرات الذهب**، ج٨، ص٣٠١. العيدروس. **تاريخ النور السافر**، ص٢٤١. ابن فهد. **الدر الكمين**، ص٨. الغزي. **الكواكب السائرة**، ج٢، ص١٣١. البغدادي: مرجع سابق، م٦، ص٢٤١. كحالة، مرجع سابق، ج١٠، ص١٧٥. محمد الهيلة، مرجع سابق، ص١٩٥. المعلمي: مرجع سابق، ج١، ص١٦٢. محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخون** - مكة، ص٢١١.

(٢) الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك . **الوافي بالوفيات**، ج ٢؛ تحقيق مجموعة، ١٣٨١هـ، ص١٣٢ . الكتبي . **فوات الوفيات**، ج٣ . تقي الدين الفاسي . **العقد الثمين**، ج١، ص٣٢١ . ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج ٥، ص ٣٩٧.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان . **تذكرة الحفاظ**، ج ٤، ص ١٥-٨ . تقي الدين الفاسي . **العقد الثمين**، ج ٥، ص٦٢٣.

(٤) ابن حجر . **الدرر الكامنة**، ج ٢، ص ٢٩١ . **أبناء الغمر**، ج ١، ص ٢٩١.

(كالمدرسة الشامية، والمدرسة المصرية، والمدرسة العراقية) ولكنها في مجالات كتابة مؤرخيها لم يشاركها فيها مدرسة أخرى؛ لذلك اتسمت بخصائص كثيرة ومتنوعة تأتي في مقدمتها:

١ - تأثرت المدرسة التاريخية المكية بالمدارس التاريخية المجاورة وتطورت وأصبح لها استقلاليتها وشخصيتها ثم أصبحت بعد ذلك تسهم مع غيرها من المدارس في كتابة التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الحجاز بشمولية متناهية في شتى الجوانب وتميزت بالتوسع والعمق والشمول ولقد صوروا الأحداث بألوانها الحقيقية.

٢ - كانت المدرسة المكية تهتم اهتماماً مركزياً بالحرم المكي الشريف، بناءً، وإعماراً، وتدريساً وخطابة، وما ارتبط به من قضايا فقهية حيث انفردوا بمعلومات على درجة عالية من الأهمية عن أخبار الحج والمشاعر المقدسة والركب المصري والنزاعات التي تحدث أحياناً بين الأشراف وتدخل الركب المصري لفض النزاع[١].

٣ - شكلت رحلة الحج وأحداثه وقضاياه خصيصة مكية لمؤرخي مكة برز في تدوينها الجزيري(ت ٩٧٦هـ) فقد كان يدون أخبار مكة عند قدومه إليها في الحج، حيث كان بحكم وظيفته يأتي للحج غالباً كما أنه اعتمد في التدوين على المكاتبات التي وصلت إليه من الأقطار الحجازية[٢].

٤ - اهتمت وتنوعت فضاءات الكتابة التاريخية للمؤرخين المكيين، حيث كان لها الأثر الواسع والعميق في تطور الفكر والتأليف في تاريخ مكة وكان أعمها وأشملها وأفضلها ما كتب عن التاريخ المكي العام ثم ما كتب عن التراجم وآل البيت والأسر والمذاهب السنية ثم كتب الوصف والفضائل[٣].

٥ - احتلت كتب التاريخ المكي الصدارة بين الموارد المعتمد عليها وفي مقدمتها كتب مؤرخي

---

(١) السالمي، عبدالحفيظ حمدي . **الثورات الداخلية والحملات العسكرية على مكة المكرمة** ٠- الطائف : النادي الأدبي، ١٤٣١هـ، ص ٢٨.

(٢) الجزيري، عبدالقادر محمد الأنصاري . **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**؛ تحقيق حمد الجاسر ٠- القاهرة : مطبعة نهضة مصر، ١٤٠٣هـ .

(٣) **أخبار مكة** للأزرقي . **العقد الثمين** للفاسي . **إتحاف الورى** . للنجم ابن فهد . **نيل المنى**. لجار الله بن فهد، وغيرها.

مكة الكبار بدءاً بالأزرقي والفاكهي والفاسي وانتهاءً بالنجم عمر بن فهد والبسنوي وعلى القاري . اقتفى أثرها وحاكاها جيل مؤرخي مكة حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري بشكل أو بآخر، مع بعض الاختلافات من قرن إلى القرن الذي يليه[١].

٦ - انتهجت المدرسة المكية طريقة المحدثين أو طريقة الإسناد؛ تلك الطريقة التي اتبعها رجال الحديث منذ العهد الأول للإسلام وقد سار عليها مؤرخو الإسلام تأثراً برجال الحديث خاصة في العهد الأول للتأريخ الإسلامي، تلك الطريقة التي تحمل الصدق بين طياتها، حيث يتم ذكر رواة الحديث وصولاً إلى المصدر الأول الأساس وقد سار مؤرخو مكة بشكل كبير على هذا المنهج التاريخي المهم وظهر ذلك بشكل واضح في كتاباتهم أمثال الأزرقي أحد أهم مؤرخي مكة الأوائل، فقد كان من أوائل من استخدم ذلك المنهج في كتابة التاريخ بمكة مثال ذلك قوله في صفة الحجر وذرعة: حدثني جدي: عن مسلم بن خالد: عن ابن جريج: عن عطاء: عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله عز وجل[٢].

٧ - دأبت المدرسة التاريخية المكية على الاهتمام بذكر المصادر التي اعتمد عليها المؤلف وهي إحدى أهم الخصائص التي امتاز بها مؤرخو الإسلام بشكل عام ومؤرخو المدرسة المكية لتدوين التاريخ بشكل خاص، فقد كان يعد نقصاً وخللاً في العمل التاريخي عدم ذكر المؤرخ لمصادر مادته الأصلية والكتب التي رجع إليها وأسماء مؤلفيها بالتفصيل خاصة عند تسجيل الأحداث التاريخية لفترة زمنية سابقة لم يعاصرها المؤرخ وقد حفل التاريخ المكي بكثير من هؤلاء المؤرخين الذين اعتمدت معظم مؤلفاتهم الخاصة بتاريخ مكة المكرمة على عدة مصادر اعتماداً كبيراً خاصة كتب التاريخ العام في مقدمتها كتاب أخبار مكة للأزرقي والعقد الثمين للفاسي وإتحاف الورى والدر الكمين للنجم بن فهد، والدرر الفرائد للجزيري ونستشهد بنص لعمر بن فهد أحد مؤرخي مكة في

---

(١) الهيلة . التاريخ والمؤرخون .

(٢) الأزرقي. أخبار مكة، ج١، ص٣٢٠.

كتابه «الدر الكمين بذيل العقد الثمين»، حيث يقول على سبيل المثال عند ترجمته لعلي بن الطيب أبو الحسن الطيب المعروف بابن المعتوه النوادري المتوفى بمكة سنة ست عشرة وثمانمئة يقول عمر بن فهد: نقلت هذه الترجمة من تاريخ الصفدي[1]. وممكن أن نعزو هذه الدقة والأمانة إلى تأثرهم بعلم الحديث وسند الرواية فسلكوا في كتابة التاريخ المنهج الإسلامي في نسبة الفضل إلى ذويه.

٨ - سلك مؤرخو المدرسة التاريخية المكية النظام الحولي لفترة زمنية محددة عاصرها المؤلف من بداية الكتاب إلى نهايته أو الكتابة على السنين في تسجيل الأحداث لفترتين زمنيتين الفترة السابقة لعصر المؤلف والتي اعتمد فيها على مؤلفات من سبقوه والفترة المعاصرة له وهي طريقة تاريخية مهمة سار عليها غالبية مؤرخي الإسلام على مدى قرون طويلة وهي بالرغم مما شابها من عيوب منها: تقطيع الخبر التاريخي وتوزيعه بين عدة سنوات إلا أن أصحاب هذه الطريقة امتازوا بالدقة والالتزام عند تسجيل الخبر وقد شهدت مدرسة التاريخ المكي عدداً من أهل هذا المنهج من المؤرخين أمثال العز عبد العزيز بن النجم بن فهد المكي في كتابه «بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى» والذي تناول خلاله المؤرخ أحداث مكة خلال المدة من ٨٨٥هـ وحتى عام ٩٢٢هـ مفصلاً على السنوات والشهور والأيام فهو مثلاً يذكر أحداث شهر صفر عام ٨٨٧هـ بقوله: «أهل شهر صفر الخير ليلة الخميس سنة ٨٨٧هـ في يوم الخميس مستهل الشهر المذكور ثم يتابع حديثه حتى نهاية الشهر ويلحقه بالذي يليه وهكذا حتى نهاية أحداث عام ٩٢٢هـ عام وفاته»[2]. أما النهروالي وابن ظهيرة فلم يخصصا فصولاً تظهر طريقتهما في تتبع أخبار مكة المكرمة، بل جاء ذلك متفرقاً في كتابتيهما في أثناء محاولة ربط الماضي بالحاضر عند ذكرهما إصلاحات المسجد الحرام في العصور السابقة اعتماداً على المصادر[3].

---

(١) عمر ابن فهد . **الدر الكمين**، ج٢، ص١٠٣١.

(٢) العز عبد العزيز بن فهد. **بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى**؛ تحقيق صلاح الدين خليل إبراهيم ابوالخيور، عليان المحلبدي ٠- القاهرة : دار القاهرة، ١٤٢٨هـ، ص٨٦، ج١، ص١٩١.

(٣) النهروالي، محمد بن علاء . **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام** ٠- بيروت : دار خياط، ١٩٦٤م. ابن ظهيرة، محمد بن جار

٩ - تناول مؤرخو مكة مختلف أمور الحياة في كتاباتهم، حيث لم تقتصر كتابات مؤرخي مكة على الكتابة على النواحي السياسية، بل شملت جانباً كبيراً من الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية في مكة مثل ذكر المواليد والوفيات ومراسم الدفن واحتفالات أهل مكة بالزواج والزفاف وأنواع الأطعمة وكذلك ذكر الحوادث التي تقع داخل المجتمع المكي من سرقات وجرائم قتل وذكر السيول والحرائق والدمار وغلاء الأسعار وعدم وفرة بعض السلع وقلة الأمطار وأسعار البيع والشراء وسك العملة وأخبار الحياة العلمية من ذكر العلماء وأخبار مؤلفاتهم ومناقشاتهم العلمية واختلافاتهم في الرأي وغيرها من أمور الحياة المكية في ذلك الوقت من ذلك ما ذكره جار الله بن فهد عند تناوله لأحداث شهر ذي الحجة يقول: وفي ليلة السبت سابع عشر الشهر حصل بمكة رجعة من بعض العربان دخلوا بعض البيوت وكسروا أبوابها ونهبوا ثياباً[١]. وكذلك النهروالي وابن ظهيرة في كتابتيهما تطرقا بشكل مفصل إلى إصلاحات المسجد الحرام كذالك إيرادهما بعض العادات في مكة المكرمة بصورة موجزة بل تجاوزا ذلك في تتبع الأخبار الخارجة عن مكة عن طريق القادمين وما يحملونه من أخبار ومعلومات[٢].

١٠- اهتمام مؤرخي المدرسة التاريخية بدقة النقل والإضافات وإدخال أحدهم الزيادات على الحادثة التاريخية التي تناولها من سبقه من المؤرخين وإكماله لما يراه نقصاً في التراجم وإدخاله للتعليقات والتحليلات وإبداء رأيه فيما يراه من أحداث أو سمع بها. ومن أراد التعرف على دقة النقل لديهم وتحريهم الأمانة العلمية ما استطاعوا عليه الرجوع إلى أنواع المصادر المعتمد عليها من قبل المؤلفين في التاريخ المكي العام.

١١- برع مؤرخو المدرسة التاريخية المكية في الفقه والتفسير وعلوم القرآن وعلوم الحديث طلباً وضبطاً، فقد كانت مرجعيتهم الدينية أساساً وإماماً لهم في مؤلفاتهم التاريخية

الله . **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف** ·- مكة : مكتبة الثقافة، ١٤٢٣هـ.

(١) ابن فهد، جار الله محمد بن عبدالعزيز . **نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى**؛ تحقيق محمد الهيلة·- لندن: دار الفرقان، ج ١، ص .

(٢) ابن ظهيرة . **الجامع اللطيف** . النهروالي . **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام**.

فكانوا علماء في علوم الشريعة بشكل عام إلى جانب إبداعاتهم التاريخية المتميزة. وكان يُجاز الواحد من العشرات في عدد من الأقطار وقد ألف العز بن فهد معجماً لشيوخه يقال : إنه يحوي ألف شيخ وقد قرأ عليهم العز التفسير والحديث وعلومه والفقه والأصول والنحو وعلم اللغة[1].

١٢- امتاز مؤرخو المدرسة التاريخية المكية بتلك المكانة الاجتماعية المتميزة داخل المجتمع المكي ولدى أمراء مكة وأشرافها وكذلك لدى الخلفاء والسلاطين وتعمقت في عهد سلاطين الدولة المملوكية والدولة العثمانية وكانت لهم الكلمة لديهم، يتشاور معهم العلماء والفقهاء والأمراء والأشراف في كافة أمور الحياة سواء الدينية أو الاجتماعية تلك التي تمس حياة الناس وشعائرهم الدينية بشكل خاص.

١٣- اهتمام مؤرخي المدرسة التاريخية المكية بشكل عام بالزيادات على المصدر تلك التي تتفاوت ما بين الإسهاب أحياناً والإيجاز أحياناً أخرى وهي تتميز غالباً بكلمة قيلت لوضع حد فاصل لها عن متن الأصل المنقول منه وقد تختلف تلك الزيادات من كتاب لآخر تبعاً لشخصية المؤلف ومكانته العلمية بين طلبة العلم والكتب التي نقل عنها، وهي تتفق أحياناً في بعض النقاط التي ليست مجالاً للخلاف مثل الربط بين الماضي والحاضر وبقاء أو انتهاء مأثر من المآثر أو معلم من المعالم أو وصف الطرق والحياة العلمية قديماً وصولاً إلى عهد المؤرخ.

١٤- امتاز مؤرخو المدرسة التاريخية المكية بالنقد الهادف الصريح والتعليق على ما تحت أيديهم من مصادر وعدم التسليم بها على علاتها للوقوف منها على صحة الخبر التاريخي وعدم التسليم بصحته دون نقد لما يراه من أحداث وما رأه غيره من سابقيه هذا إلى جانب التعليق على الأحداث وإبداء المؤرخ رأيه فيما يراه ويعاصره من أحداث. كنقد العز ابن فهد لطباع بني شيبة سدنة البيت الحرام، ونقده للحجاج عند ذبحهم للشاة ورميها في الطرقات وتحليله لتفشي الفقر والمرض في أبناء البادية وكذلك المؤرخ جار الله ابن فهد الذي وصل بنقده إلى كبار الشخصيات بكلمات جريئة هادفة[2].

(١) العز ابن فهد . **معجم شيوخه**.

(٢) العز ابن فهد . **بلوغ القرى**، ص ١٣٦. جار الله ابن فهد . **نيل المنى**، ج١، ص ٨٦.

١٥- يثمن غالياً وعالياً لمؤرخي المدرسة التاريخية المكية بعدها عن المهاترات التي كانت سائدة بين مؤرخي المدارس المعاصرة في مصر والشام؛ فعلى سبيل المثال جرت في مدرسة التاريخ بمصر وقتئذ اتهامات بين مؤرخيها بالسطو على مؤلفات الغير فقد اتهم المقريزي من جانب السخاوي بأنه ظفر على مسودة لمؤرخ معاصر وهو شهاب الدين الأوحدي المتوفى سنة ٨١١هـ ضمنها خططه ونسبها لنفسه[١]، كما حط السخاوي من قدر الصيرفي ومؤلفاته : إذ يقول: «وبالجملة فهو من سيئات الزمان وجهله واضح الظهور»[٢] وبينما نرى في هذا التجريح لبعض أعلام مدرسة التاريخ في مصر والشام نرى في الجانب الآخر لمؤرخي المدرسة المكية اعترافاً من جانب مؤرخيها بنسبة الفضل إلى ذويه من ذلك ما أشاد به ابن ظهيرة لجهود السابقين كالأزرقي والفاسي[٣].

١٦- تميزت مدرسة التاريخ المكي بشكل عام بتعدد أنماط الكتابة التاريخية، حيث اختلف شكل العمل التاريخي والمنهج الذي تناول به مؤرخو مكة عرض الحادثة التاريخية واختلفت أشكال كتاباتهم، فقد تخصص بعضهم في الكتابة في تاريخ الخطط والمدن، كما تخصص البعض الآخر في الكتابة في التاريخ الاجتماعي وشكل المجتمع المكي وحياة أهل مكة وعاداتهم، هذا وقد برع البعض في كتابة التراجم لأهل مكة وأعلامها وعلمائها وأعيانها وشخصياتهم تخليداً لذكرهم بين الناس فيما برع البعض الآخر في الكتابة على السنين أو ما عرف بالتاريخ الحولي كأحد أشكال الكتابة التاريخية لدى مؤرخي مكة.

وسوف نتناول تلك الأنماط التاريخية مع التعرض لمنهج أشهر مؤرخي مكة في كل نمط من هذه الأنماط التاريخية التي اتبعها مؤرخو المدرسة المكية لكتابة التاريخ.

أولاً: تاريخ المدن والخطط:

أحد أنماط المعرفة التاريخية التي تميزت بها مدرسة التاريخ المكي منذ البدايات الأولى للتأريخ الإسلامي ويعتمد أصحاب هذا النمط من الكتابة التاريخية على الوصف

(١) السخاوي . **الإعلان بالتوبيخ**، ص١٣١.

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع** ، ج ٥، ص ٢١٨.

(٣) ابن ظهيرة . **الجامع اللطيف**، ص ٣ .

الجغرافي كما نلحظ في منهجهم حرصهم على تسمية وتعريف المناطق وتاريخها وذكر المنشآت والآثار الموجودة والباقية بها معتمدين في ذلك على ما شاهدوه بأعينهم وسمعوه من الرواة. فهذا الشكل يجمع بين التاريخ والجغرافيا، ولابد أن تتوافر لمؤرخ هذا النمط المعرفة التامة بالتطور العمراني للأمكنة والبقاع على مدى الزمن معتمداً على مصادر وروايات تاريخية سابقة موثوقاً بها، لذلك اهتم المؤرخون المكيون بدراسة جانب معين من جوانب علم التاريخ وهو دراسة تاريخ المدن والأماكن بالإضافة إلى دراسة تاريخ مكة درسوا تاريخ جدة والطائف وغيرهما من المناطق القريبة من الحرم الشريف مما جعلهم يحققون فيه قصب السبق وينالون شهرة مضيئة في كتابة هذا النمط؛ لأنهم سكنوا في هذه المدن وعرفوا أدق التفاصيل الصغيرة وعاصروا كل ما حدث بها من حوادث؛ فابن فرج ألف في «تاريخ جدة» ؛ لأنه كان أحد أعيانها وكان خطيبها المفوه في جامع شميلة[١] وجار الله ابن فهد كتب عن جدة والطائف؛ لأنه أقام بهما وزارهما ونجد أنهم من خلال كتاباتهم في هذا الجانب ساروا على منهجية موحدة[٢]، وقد برع كثير من مؤرخي مكة في كتابة هذا النمط التاريخي الوصفي.

الأزرقي وكتابه «أخبار مكة» وما جاء فيها من آثار:

أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي. لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى تحديد مولده ولكنه ولد في القرن الثاني الهجري . أما تاريخ وفاته فقد اختلف فيه المؤرخون ما بين ٢٢٣هـ و٢٤٤هـ ولكن الأرجح أنه توفي في عام ٢٤٤هـ[٣] على أصح الروايات وكما يتضح من النصوص التي أوردها في كتابه أخبار مكة ما بين الولادة غير المعروفة والوفاة مساحة من الزمن والمحطات تسود حياة الأزرقي، حيث دخل دائرة الضوء

---

(١) عبدالقادر أحمد بن فرج المكي . **السلاح والعدة في تاريخ جده**؛ تحقيق وترجمة ، أحمد عمر الزيلعي وريكس سكيث٠- الرياض، ١٤٠٤هـ.

(٢) ابن فهد، جار الله محمد . **تاريخ مدينة جدة وأحوالها وقربها من مكة** ؛ نشره عبدالمحسن مدعج . **مجلة معهد المحفوظات**، ١٤٠٧هـ ، م ٣١، ص ١٨٩. **تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف** ؛ تحقيق محمد سعيد كمال ومحمد الشقماء ٠- الطائف : النادي الأدبي، ١٤٠٨هـ.

(٣) الأزرقي . **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** . عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ٠- مكتبة الأسدي. ٢٠٠٤م، ج ١، ص٢٦٤، النديم . **الفهرست** ص ١٦٢. تقي الدين الفاسي . **العقد الثمين**، ج٢، ص٤٩.

المعرفية لذلك عاش الأزرقي العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الثالث الهجري وهو عصر الازدهار السياسي والاقتصادي للخلافة الإسلامية العباسية لذلك عمّ البلاد الإسلامية عموماً الازدهار العلمي والتاريخي ومن ضمنها مكة المكرمة التي حملت رسالة حضارية وعلمية وتاريخية لذلك نهل من علمائها شتى العلوم والمعارف وقبل الانتقال إلى مؤلفه الموسوعي لابد أن نستعرض شيوخه وتلامذته ومن أبرز شيوخه جده أحمد بن محمد الأزرقي ومحمد بن يحيى العدني وأحمد بن نصر النيسابوري والمقري[1]ومن تلامذته محمد يحيى الهجراني وإسحق أحمد الخزاعي، ويعد كتابه تاريخ مكة أحد أهم الكتب التي سارت على هذا الدرب التاريخي المهم بين مؤرخي مكة، وهو أقدم وأوثق مصدر وصلنا عن تاريخ مكة وخططها، وهو من المصادر التاريخية الموثقة عن مكة المكرمة وقام بتحقيقه الدكتور عبدالملك بن دهيش في مجلدين[2].

وقد اهتم بكتاب الأزرقي من جاء بعده من المؤرخين فاختصره الأسفرائيني (سعد الدين الأسفرائيني المكي من علماء القرن الثامن الهجري) اختصره (وسماه زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال) وقد ذكر في مقدمة كتابه ما دل على ذلك بقوله: أما بعد فهذه رسالة مشتملة على فضيلة مكة شرفها الله تعالى وكيفية بناء الكعبة و.... اختصرتها من تاريخ مكة شرفها الله تعالى وبناء الكعبة وعظم قدرها من جمع الحافظ أبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي .. وسميتها «زبدة الأعمال وخلاصة الأفعال». واكتفى بالبحث في فضائل الحج والعمرة وما يتصل بذلك كما اختصره [يحيى محمد الكرماني من علماء القرن التاسع] وسماه «مختصر تاريخ مكة المشرفة» وذكر الكرماني في مقدمته ما دل على ذلك بقوله: قام الأزرقي عبد الملك بن أحمد الأنصارى المتوفي عام ٧٢٢هـ بنظم أرجوزة وسماها نظم تاريخ مكة للأزرقي في أرجوزة[3].

(١) السخاوي. **الإعلان بالتوبيخ**، ص ١٣٢ . البغدادي . **هدية العارفين**، م ٢، ص١١ . كحالة **معجم المؤلفين**، م١٠. ص ١٩٨. محمد على مختار . الأزرقي المؤرخ من خلال رواياته – كتاب – **مصادر تاريخ الجزيرة العربية**، ج١، ص ١٩٩–٢١٨.

(٢) الأزرقي، محمد بن عبدالله . **أخبار مكة**؛ تحقيق عبدالملك بن دهيش، مجلدين ٠- مكتبة الأسدي، ٢٠٠٤م. الأزرقي، **تاريخ مكة**، ج١، ص١٩. ابن النديم . **الفهرست**، ص١٦٢. بروكلمان . **تاريخ الآداب العربية**، م٣، ص٢٢.

(٣) رشدي ملحس . مؤرخو الحجاز ونجد ٠- مكة : **مجلة أم القرى** ، ١٣٥٢هـ، ص٤٥٣/٤٥٤.

المنهج التأليفي:

للمؤرخين ينابيع كثيرة يستقون منها أخبار الأحداث والوقائع والإنجازات منها الأحداث المنظورة والروايات المسموعة والأنباء المكتوبة ومنها آثار الماضي الباقية من مبانٍ ووثائق ومسكوكات وهي المادة الخام التي يصير التاريخ بدونها مجرد احتمالات وتأويلات لا تثبت حقيقة ولا تؤكد واقعاً ، ومؤرخ مكة راسم الخارطة التاريخية للمؤرخين الأزرقي المتخصص في كتابة التاريخ المكي كان سباقاً إلى رصد الأحداث بدقة وأمانة وفطنة وذكاء وعمل المقارنات بالنقد اللازم والتقويم الصحيح لكل ما نقله ورآه وسمعه.

وقد استقى كثيراً من معلوماته الواردة في كتابه عن عبد الله بن عباس وتلاميذه، حيث كانت لديهم معلومات وفيرة عن مكة، يبدو أن الأزرقي كان مولعاً بمعرفة الأخبار التاريخية ورواياتها، كما أن اسمه يظهر مصدراً للمعلومات عن تاريخ مكة القديم، وكذلك فيما يتعلق بتاريخها الإسلامي وما صاحبه من أحداث[1].

لقد قسم الأزرقي كتابه إلى قسمين، أولهما خاص بالأخبار والأحاديث التي وردت في فضل مكة والكعبة ووصف المظاهر الحضارية والعمرانية وما حولها من الآثار الإسلامية ويذكر فيه الأدوار التي مرت بها عمارة الكعبة والمسجد الحرام حتى عصره والقسم الثاني أفرده لجغرافية وأسماء جبالها وأوديتها كما تضمن معلومات في الخطط والمقابر والمساجد وإذا نظرنا إلى كتاب الأزرقي نجده نموذجاً مهمّاً لكتاب الخطط، فقد اهتم الأزرقي بذكر تاريخ وصفي دقيق لكل معالم مكة وآثارها التاريخية وبقي هذا الكتاب مصدراً رئيساً للمؤرخين والرحالة وقد اتبع الأزرقي بمقاييس عصرنا الحالي المنهج العلمي السليم في الكتابة التاريخية، حيث تميز كتابه بالملامح التالية:

أ - «**وضع عنوان لكل موضوع تاريخي يتناوله بالدراسة**»: فقد بدأ كتابه بهذا العنوان ذكر ما كانت الكعبة الشريفة عليه فوق الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض وما جاء في ذلك، مقسماً كتابه إلى مجموعة موضوعات تاريخية تناولها بالدراسة والتقديم فهو عندما يريد الحديث عن إكرام أهل الجاهلية لحجاج بيت الله الحرام

(١) تقي الدين الفاسي . **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة**، ص ٥ . الهيلة . **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص ١٥.

يضع عنواناً لذلك قوله: إكرام أهل الجاهلية الحاج ثم يذكر حديثه بقوله قال: أخبرني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال: قال أخبرني محمد بن إسحاق أن هاشم بن عبد مناف كان يقول لقريش إذا حضر: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته خصكم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا أضيافة وزوار بيته يأتونكم شعثاً غبراً من كل بلد فكانت قريش ترافد على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير رغبة في ذلك فيقبل منهم لما يرجى لهم من منفعته[1].

ب - **ذكر مصادر معلوماته:** فقد اهتم الأزرقي بذكر مصادر معلوماته بشكل واضح وهي هنا ليست معلومات مكتوبة، بل معلومات تروى على لسان الغير فقد اهتم الأزرقي بذكر صاحب الخبر أو المصدر فحملت أخباره الصدق فيما بينها. فعند حديثه مثلاً عن المسجد الحرام وفضله وفضل الصلاة فيه يقول الأزرقي: حدثني جدي قال: حدثنا سفيان: عن عبد الملك بن عمير: عن قزعة: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى[2].

ج - **تتبعه لتطور الحدث التاريخي:** فقد اهتم الأزرقي بتتبع أحداثه التاريخية منذ القدم وحتى عصره وتطورها، حيث لم يكتف بذكر الحدث التاريخي الذي عاصره كما رآه وعاينه بنفسه، بل نجده يتابع تطور ذلك الحدث من خلال مراحله التاريخية المختلفة وما طرأ عليه على مر الأزمنة وصولاً حتى عصره، وما وقع للحدث أو الأثر التاريخي من تغيرات دون التعرض للتاريخ السياسي والعلمي، بينما نجد معاصره عمر بن شبة قد جمع بين التاريخ السياسي والحضاري؛ فعند حديثه عن كسوة الكعبة يبدأ بذكر أول من كسا الكعبة في الجاهلية ويذكر أن أسعد الحميري (تبع) أحد ملوك اليمن قبل الإسلام أول من كسا الكعبة ثم يتابع حديثه عن كسوة الكعبة في الجاهلية والإسلام حتى زمنه وكان آخر من كساها في زمنه كما ذكر هو الخليفة العباسي المتوكل على الله[3].

---

(١) الأزرقي. **أخبار مكة**، ج١، ص١٩٤.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٦٤.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٢٤٩-٢٥٥.

د - اتباعه طريقة رجال الحديث (الإسناد): تلك الطريقة الإسلامية في تدوين الخبر التاريخي التي سار عليها رجال الحديث في ذلك العصر؛ نظراً للصدق الذي تشتمل عليه، حيث يجب على جامع الحديث تحري الدقة في ذكر مصادره وصولاً إلى الراوي الأول للحديث نقلاً عن رسول الله ﷺ وقد سار على تلك الطريقة أبو الوليد الأزرقي وهي طريقة مهمة في تدوين الحدث التاريخي كما هو ورده إلى صاحبه الأول؛ فعند حديثه عما يجب قتله من دواب الحرم وما يقتل فيه يقول: حدثني جدي قال: حدثنا سفيان: عن ابن شهاب: عن سالم بن عبد الله قال: سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الحية يقتلها المحرم فقال: هي عدونا فاقتلوها حيث وجدتموها[١].

هـ - ذكره لما شاهده من المواقع والآثار: وهي إحدى الصفات التي ينبغي توافرها في المؤرخ بشكل عام وهو أن لا يعتمد فقط على النقل من المصادر، بل يجب عليه أن يقف على الحادثة التاريخية ويتابع تطورها إذا توافر له ذلك وهذا ما فعله الأزرقي في كثير من أخباره التي نقلها عند حديثه عن أخبار مكة وذكر معالمها وجغرافيتها وآثارها التاريخية، فقد اعتمد بشكل كبير على تسجيل ما رآه وشاهده بنفسه في وصف الأماكن وتحديدها ويذكر معلومات تاريخية عنها ربما كانت مستفيضة لمعرفة الناس بها في عهده ، ولعل هذا الذي دعاه إلى ترك توضيح مصادر معلوماته عن مثل تلك الأحداث دون النقل عن أحد معاصريه فهو عند حديثه عن آبار مكة يذكر كشاهد لتلك الآبار فيقول عن بئر الأسود: وبئر الأسود بن البحتري كانت على باب دار الأسود عند الحناطين، دخلت في دار زبيدة الكبيرة عند الحناطين والبئر قائمة في أسفل الدار إلى اليوم[٢].

وعلى هذا فقد سبق الأزرقي عظماء ومؤرخي الإسلام ممن برعوا في كتابة الخطط والتاريخ الوصفي أمثال المقريزي وابن عساكر وغيرهم من مؤرخي الخطط وأجاد وأصبح أنموذجاً يحتذى به لدى علماء ومؤرخي الإسلام ممن جاء بعده.

محمد بن ظهيرة وكتابه «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف»:

هو جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة

(١) المصدر السابق، ج٢، ص١٤٩.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٤.

القرشي[1] المكي المخزومي الحنفي[2] ويرجع نسبه إلى الوليد بن المغيرة[3] وأشار إلى ذلك في كتابه الجامع اللطيف فقال: «والوليد هذا هو جدنا لأن نسب بني ظهيرة متصل به» لم يعرف سنة ولادته ولكنه توفي سنة ٩٨٦هـ[4] من بيت علم وأدب اشتهروا بنشاطهم في كافة فنون العلم لعدة قرون ومؤرخنا من كبار علماء ومؤرخي مكة ويعد من مفاخر مكة . أثنى عليه القريب والبعيد وتميز في تبحره في العلم واللغة والتاريخ وأجاز له علماء من مكة ودمشق والقاهرة ولكنه من العلماء الذين حفل بهم القرن العاشر على أنه كان يتميز بالفكر والعلم الواسع متعدد الجوانب في المعرفة.

المنهج التأليفي :

يعتبر كتاب ابن ظهيرة «الجامع اللطيف» حلقة مهمة في سلسلة كتب التاريخ المكي وامتداداً وتكملة لمن سبقوه فهو مكمل في وصف مكة لكتاب الأزرقي «تاريخ مكة».

ولم يحدد لنا ابن ظهيرة السنة التي شرع فيها بتدوين كتابه الجامع اللطيف ويبدو أنه انتهى من تأليفه في أواخر النصف الأول من القرن العاشر الهجري.

وواضح في دفتي مؤلفه سبب تسميته فقد أشار إلى ذلك قائلاً: «وسميته «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف»[5].

لقد أوضح ابن ظهيرة في بداية حديثه الدوافع إلى تأليف كتابه الجامع اللطيف ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

١ - أراد بتأليف هذا الكتاب إخراج كتاب وسط عن تاريخ مكة غير مختصر مخل ولا مطول ممل ويتضح ذلك في قوله: «ولم أقف على مؤلف متوسط في ذلك يدل على المقصود، ولا

(١) واجهة كتابه الجامع اللطيف. **الجامع اللطيف**، ص ٢.

(٢) عبدالله مرداد . **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**، ص١٥١ . الزركلي . **الأعلام**، م ٧، ص٥٩. كحالة . **معجم المؤلفين**، م١١، ص ٢٠٠.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم. كان من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش، ومن الذين وقفوا ضد الدعوة الإسلامية، وهو والد خالد بن الوليد رضي الله عنه . هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر. انظر : **ابن الأثير**. أبو الحسن علي . **الكامل في التاريخ** م ٢، ص ٤٨ . النويري، أحمد عبدالوهاب . **نهاية الأرب في فنون الأدب**. فوزي العنتيل ٠- القاهرة : الهيئة المصرية، ١٤٠٥هـ ، ٢٧٣/١٦. الزركلي . **الأعلام** ، م٨، ص ١٢٢.

(٤) ابن ظهيرة . **الجامع اللطيف** ٠ ص ١٠٠ .عبدالله مرداد. **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**، ص١٥١.

(٥) **الجامع اللطيف**، ص ٤ . ذكر الزركلي كتاباً يحمل نفس الاسم ولكن لمؤلف آخر من بني ظهيرة، انظر **الأعلام**، م ٦ ، ص٢٣٩ .

ظفرت بتعليق مفرد يكون جامعاً لما هو في أسفار علماء هذا الفن موجود. أحببت أن أجعل بعد الاستخارة تعليقاً لطيفاً غير مختصر مخل ولا مطول ممل يكون عدة للقاصد»[1].

٢ - أن يكون جامعاً لمن كان قد سبقه في هذا المضمار وعن ذلك يقول: «غير أن الجميع رحمهم الله (يقصد المؤلفين السابقين لتاريخ مكة) قد أطالوا الكلام وبالغوا في الإسهاب ونشروا العبارة وبسطوها في جميع الكتاب بحيث من أراد الإحاطة بذلك يحتاج إلى استيعاب جميع المؤلف مع كبر الحجم ليقف على ما هنالك»[2].

٣ - أن يكون مرتباً حسب الأهمية، حيث يقول: «وربما قدم بعضهم ما يحسن تأخيره وأخر ما يحسن تقديمه وتقريره»[3].

لقد اقتفى ابن ظهيرة أثر شيخ المؤرخين تقي الدين الفاسي في مؤلفه «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» وقد قسم كتابه إلى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة[4] .

لم تكن الغاية من ذلك دراسة هذه المصادر لذاتها، بل لمحاولة التعرف على أنواعها ومدى استيعابه للمؤلفات السابقة والأسس التي اتبعها للمفاضلة في الاعتماد عليها والمنهج الذي اتبعه في النقل منها، فالمؤلفات السابقة التي ألفت قبل عصره هي أساس موارد الكتاب وتكوينه المفصلي لمادته وقد استوعبها ابن ظهيرة بشكل لا بأس به وذكرها في بداية كتابه مثل : مؤلف الأزرقي[5] ومؤلف الفاسي «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»[6] كما اعتمد على كتب التاريخ المكي وأخبار مكة لأبي عبدالله محمد الفاكهي بالإضافة إلى تجربته الشخصية وما شاهد وسمع وهو أهم ما في كتابه لذلك يعتبر الكتاب منجماً من مناجم المعلومات لتاريخ مكة.

لقد أوضح ابن ظهيرة في بداية تأليفه لمؤلفه عن بعض الجوانب التي ينتهجها في كتابه

---

(١) ابن ظهيرة . **الجامع اللطيف**، ص ٣.

(٢) ابن ظهيرة . **الجامع اللطيف**، ص ٣.

(٣) ابن ظهيرة . **الجامع اللطيف**، ص٣.

(٤) **الجامع اللطيف**، ص ٤-٦.

(٥) إن عملية النقل عن الأزرقي شملت معظم أجزاء الكتاب وهي تختلف فأحياناً تكون بالنص وأحياناً بالمعنى . **الجامع اللطيف**، ص٣٦ إلى، ص ١٠١.

(٦) شملت عملية النقل معظم أجزاء الكتاب انظر **الجامع اللطيف** ٦٨، ٧٠، ٨١، ٨٣، ٨٩، ٩٣، ٩٨، ١٠٤. **وشفاء الغرام** للفاسي، ج١، ص٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٤... إلخ.

والتي يمكن أن نوجزها بالنقاط التالية:

١ - اعتماده على من سبقه في ميدان هذا التخصص التاريخي خاصة ممن تميزوا بالإبداع والشهرة، حيث أشار إليهم وأشاد بهم في كتابة التاريخ المكي وأنهما من أعمدة المؤرخين وهما أبو الوليد الأزرقي وتقي الدين الفاسي[١].

٢ - اعتمد في تأليفه على الدقة وتحري الأمانة العلمية في أغلب مؤلفه على قدر الإمكان فيمن نقل عنهم يقول: «عازياً كل قول غالباً إلى قائله»[٢].

٣ - عدم الرغبة في الإطالة وانتهاج النهج الوسطي بقوله: «سالكاً إن شاء الله سبيل التوسط والاختصار»[٣].

٤ - إيضاحه للزيادات التي سوف يقوم بإضافتها في كتابه وفي ذلك يقول: «أن التاريخ... جمع ما تشتت ورمم ما تفتت مع زيادة فروع فقهية ... ولطائف غزيرة»[٤].

٥ - لم يتبع دائماً الأسلوب العلمي الواضح في ذكر مصادره فهو يذكر أحياناً المؤلف ولا يذكر كتابه فيقتصر مثلاً على القول «قال المسعودي»[٥] وأحياناً نجده يذكر اسم الكتاب ويغفل اسم المؤلف مثال ذلك (قال في منهاج التائبين)[٦].

٦ - تميز باهتمامه في بداية نقله عن أي مصدر من المصادر باستعمال عبارات دالة على ذلك نحو قوله (قال)[٧]، و(ذكر)[٨]، و(نقل)[٩] . أما الإشارة إلى نهاية النص المنقول فإنه يعبر عنه بما يدل عليه نحو قوله (انتهى)[١٠]، و(وانتهى بمعناه)[١١].

---

(١) ابن ظهيرة . **الجامع اللطيف**، ص ٣.

(٢) المصدر السابق، ص٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٦.

(٤) المصدر السابق، ص ٦.

(٥) **الجامع اللطيف**، ص ٦١/٢٧٤ .

(٦) المصدر السابق، ص ٤٢، ٦٧، ٢٥٧.

(٧) المصدر السابق، ص ٢٢، ٨٨، ١٢١ .

(٨) المصدر السابق، ص٢٧، ١٠٣ .

(٩) المصدر السابق، ص ٨٧، ١٢١، ١٦٠ .

(١٠) المصدر السابق، ص١٧، ١٨.

(١١) المصدر السابق، ص ٣١، ٥٤ .

ثانياً: التاريخ الاجتماعي:

يشير التاريخ الاجتماعي بشكل عام إلى دراسة الماضي التي تركز أساساً في الاهتمامات الاجتماعية، وقد ازدهر التاريخ الاجتماعي لاهتمامه بالقيم وأنماط حياة الناس كما اتسع نطاق هذا النمط وأصبح متداخلاً مع علم الاجتماع الذي خرج من عباءة التاريخ؛ لذلك تتسع دائرة التاريخ الاجتماعي لتشمل البناءات الاجتماعية والنظم التاريخية والتغير الاجتماعي والتحولات التي تطرأ على قيم المجتمع والتغيرات التي تحدث في طبيعة سلوك الإنسان[1] ومن أبرز مؤرخي مكة في هذا النمط :

تقي الدين الفاسي وكتابه (العقد الثمين):

هو تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢[2] ويذكر ابن العماد أنه ولد سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م . نشأ وترعرع في محيط علمي ومعرفي وديني وبرز في رحاب مكة العلمية، حيث كانت والدته أم الحسين بنت القاضي أبي الفضل النويري مفتية مكة. اشتهر برحلاته المكثفة العلمية داخل الحجاز وخارجها إلى كعبة العلم القاهرة، حيث التقى بعلمائها ونهل من بحر علمهم ثم تعددت رحلاته إلى دمشق وبيت المقدس واليمن[3] مما نتج عن هذه الرحلات التصاقه بأكثر من خمسمئة شيخ أخذ العلم عنهم بالسماع والإجازة[4]، كما نتج عن مشواره العلمي وعنايته بالعلم أن مهر في العلوم الشرعية وأصبح قاضي المالكية وتسلم صولجان المؤرخين فأصبح مجدد المدرسة التاريخية المكية ومحيي معالمها وموضح مجاهلها ومجدد مآثرها . قال ابن حجر عنه : «وكان لطيف الذات، حسن الأخلاق عارفاً بالأمور الدينية والدنيوية، له غور ودهاء، وتجربة وحسن عشرة، وحلاوة لسان، يجلب القلوب بحسن عبارته ولطيف إشارته رافقني في السماع كثيراً بمصر، والشام، واليمن، وغيرها، وكنت أوده وأعظمه وأقوم معه في مهماته، ولقد ساءني موته، وأسفت على فقد مثله»[5].

---

(١) حسان حلاق . **التاريخ الاجتماعي** - بيروت : دار الفكر، ص٢٨.

(٢) تقي الدين الفاسي . **العقد الثمين**، م ١، ص ٣٣١ . السخاوي . **الضوء اللامع**، م٧، ص ١٨.

(٣) ابن العماد الحنبلي . **شذرات الذهب**، م ٦، ص ٢٨٠ . الزركلي . **الأعلام**، م ٥، ص ٣٣١.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي . **أنباء الغمر**، م ٣، ص ٢٤٩. ابن العماد . **شذرات الذهب**، م ٧، ص١٩٩.

(٥) «ابن حجر . **أنباء الغمر**، م ٣، ص ٤٣٢. **شذرات الذهب**، ج ٧ ، ص ٢٩٠.

تميز تقي الدين الفاسي بغزارة مؤلفاته؛ لذلك استحق لقب شيخ المؤرخين المكيين وله المؤلفات المتنوعة والمتعددة في جوانب العلم والتاريخ وقد رصدتها كتب المصادر والمعاجم والتراجم، كما سجلها أيضاً في ترجمته في باب المحمدين من كتاب العقد الثمين[1].

المنهج التأليفي:

يعتبر الكتاب من المؤلفات الموسوعية الشمولية ذات القيمة التاريخية والحضارية، حيث لاقى استحسان المؤرخين من بعده، ويزيد من قيمة الكتاب تميز مؤلفه بمعاصرته للأحداث فكان شاهد عيان للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وأصبح يرتكز عليه جميع مؤرخي مكة الذين جاءوا بعده ومن أمثلة ذلك النجم عمر ابن فهد في كتابه : (إتحاف الورى بأخبار أم القرى)[2] ثم من بعده ولده عز الدين في كتابه: (غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام)، وكذلك ابن تغري بردي في مؤلفه : (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي).

ويقول الفاسي في مقدمة كتابه : (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) : «رتبت ما ظفرت به من التراجم على ترتيب حروف المعجم - خلا المحمدين والأحمدين - فإنهم مقدمون على غيرهم؛ لشرف هذين الاسمين على غيرهما من الأسماء وأضفت إلى هذه التراجم : ما كان منها على ذهني من قبل، وهي تراجم جماعة لم أدركهم، وتراجم جماعة أدركتهم ملاءمة للتراجم التي ظفرت بها تكملة للفائدة وذكرت في أثناء كثير من التراجم أحاديث وآثاراً، وحكايات وأشعاراً، اقتداء بأئمة الحديث الأخبار، وبدأت قبل التراجم بذكر شيء من سيرة نبينا المصطفى محمد ﷺ على وجه الاختصار تبركاً بذلك، وتشريفاً لهذا المؤلف بذكره ﷺ فيه، لما في ذلك من المناسبة المقتضية لذكره ﷺ في هذا التأليف، باعتبار كونه من البلد الأمين، وسيادته للخلق أجمعين، وبدأت في هذه التراجم بتراجم الرجال الذين أسماؤهم معروفة، ثم بعد انقضاء تراجمهم أتبعتها بباب فيه تراجم الرجال المعروفين بكناهم، ممن عرف بكنيته ولم يعرف له اسم، أو عرف

(١) الفاسي . **العقد الثمين** ، ج ١، ص ٣٣٩.

(٢) عبدالله عنقاوي . **المؤرخ تقي الدين الفاسي**، م ٢، ص ٦١-٦٧ . محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص١١٤.

اسمه ولكن اختلف فيه، وذكرت معهم أناساً مشهورين بكناهم، وأسماؤهم معروفة، ليس فيها اختلاف إلا في يسير منها، وهؤلاء لم أترجمهم - كما ترجمت لمذكورين في هذا الباب - لتقدم تراجمهم في محلها من الكتاب، وإنما أذكر كنية الإنسان منهم، وما يعرف به، من نسبته إلى قبيلة أو بلد، ثم أذكر اسمه واسم أبيه وجده في الغالب، ثم أتبعت هذا الباب بتراجم النساء المعروفات بأسمائهن، ثم بتراجم النساء المعروفات بكناهن، ممن لم يعرف لها اسم، أو عرف اسمها ولكن اختلف فيه[1].

يقع الكتاب في ثمانية أجزاء وقد قام بتحقيقه محمد حامد الفقي في جزئه الأول وقام فؤاد السيد بتحقيق الأجزاء من الثاني إلى السابع وحقق الجزء الأخير المحقق محمود محمد الطناحي وأعادت مؤسسة الرسالة في بيروت طباعته عام ١٤٠٥هـ . انتهج مؤلف العقد الثمين في موسوعته منهجاً سار عليه أبرز مؤرخي مكة، حيث جعل في أول الجزء الأول مقدمة تحتوي على أربعين باباً فيها ذكر مكة وحكمها في البيع والإجارة، وأسمائها وحرمها، وأفضليتها وتحديد مساحتها، وفي أخبار عمارة الكعبة وصفتها وفضائلها، وفي ذكر شيء من أخبار الحجر الأسود، وفي الملتزم والحطيم، وفي ذكر شيء من أخبار المقام، وفي ذكر شيء من أخبار حِجر إسماعيل عليه السلام، وفي ذكر شيء من أخبار توسعة المسجد الحرام، وفي ذكر شيء من خبر زمزم وفي ذكر ما في مكة من المدارس والربط، والسقايات، والآبار، والعيون .. ثم تناول أخبار مكة ومن سكنها منذ الجاهلية ومنتهياً بزمانه (سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٢م)، ثم ذكر الأصناع والأسواق بمكة وما حولها، ثم بدأ بعد ذكر ذلك بإيراد مختصر من سيرة الرسول ﷺ بمكة والمدينة سماها : «الجواهر السنية في السيرة النبوية» اتبعها بتراجم أعيان مكة وحكامها وولاتها وقضاتها وخطبائها وأئمتها ومؤذنيها وفقهائها، وجماعة من العلماء والرواة من أهلها وكذا من سكنها سنين أو مات بها من الأعيان، وأصحاب المآثر بها وغيرهم ممن وسع المسجد الحرام في مدى ثمانية قرون[2].

---

(١) تقي الدين الفاسي . **العقد الثمين**، م ١، ص ٦/٥.

(٢) فوزي محمد ساعاتي . **المجاورون ودورهم العلمي والاجتماعي من خلال العقد الثمين** – دراسات تاريخ الجزيرة العربية – الكتاب السادس، ١٤٢٧هـ ، ص ٢١٩.

ثالثاً : التراجم:

وهي أحد أنماط الكتابة التاريخية لدى مؤرخي مكة عبر العصور الذي يتلخص في قيام بعض المؤرخين بتخليد أمجاد وأفعال السابقين والمعاصرين لهم من أبناء مكة حتى تقتدي بهم الأجيال اللاحقة وتقف على آثارهم، وهذا النمط من المعرفة التاريخية مأثرة من مآثر التاريخ الإسلامي بشكل عام أمه كثير من مؤرخي الإسلام على مر العصور بمختلف بلدان العالم الإسلامي بتأليف المعاجم التاريخية وظهر ذلك واضحاً بين مؤرخي مكة ممن كتبوا في التراجم للأعيان والعلماء ومشاهير الرجال بمكة.

النجم عمر ابن فهد وكتابه «الدر الكمين بذيل العقد الثمين» :

ينتهي نسبه إلى جعفر بن محمد (الشهير بابن الحنفية) بن علي بن أبي طالب[١] كرم الله وجهه . ولد بمكة المكرمة عام ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م .

نشأ في كنف والديه فاستصحبه في سن مبكرة إلى حلقات العلم في المسجد الحرام وقد سارت ثقافته المبكرة على المناهج الدينية، وألم بشتى أنواع الثقافة الشمولية وتبحر في علم التاريخ[٢].

وكان لوالد النجم أثر كبير في إنضاج اتجاهاته الفكرية والأخلاقية من خلال مناقشته لأفراد أسرته واستقراء مؤلفاتهم.

اشتد عود النجم وشب عن الطوق فنشط في تحصيل العلم وصنوف المعرفة في بلده، ووصف بالرحالة لسفره المتواصل إلى شتى الأقطار براً وبحراً في طلب العلم والإثراء الديني والفكري والمعرفي بالرغم مما يواجهه من مشاق السفر ومتاعبه.

إن الهدف الذي تحرك من أجله في ترحاله أغلى وأثمن من معرفة الأقاليم والبلدان، بل استعد ببذل الأموال وإنهاك الجسد ومواجهة ما يصادفه من مشاق في تحقيق هدفه الأسمى الوصول إلى منابع العلم والمعرفة دينية كانت أم تاريخية[٣] ثم

(١) النجم ابن فهد . **الدر الكمين**، ص ١٩٥ . السخاوي . **الضوء اللامع**، ج ٦، ص ١٣١.

(٢) النجم بن فهد . **الدر الكمين**، ص ١٧١ . **معجم الشيوخ**، ص ١٩٢.

(٣) ابن طولون، محمد شمس الدين . **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**؛ تحقيق محمد مصطفى ٠- القاهرة : المؤسسة المصرية، ١٩٦٤م، ص ٢٣١. النجم ابن فهد . **الدر الكمين**، ص ١٧١. **معجم الشيوخ**، ص١٩٢ .

شـد الترحال إلى القاهرة بعد رحلته إلى المدينة عام ٨٣٥هـ وتفقه على مشاهير علماء العـالم الإسلامي، فقد كانت مصر هــي كعبة العلماء وملتقى الأدبـاء وموطن المكتبات والمراكز العلمية.

ولقد كثر شيوخ النجم ابن فهد وألف مصنفاً ضخماً ضم فيه عدداً هائلاً من تراجم شيوخه وشيخاته الذين يربون على ألفي شيخ، كما تطرق إلى المادة العلمية التي تلقاها عنهم قراءة أو سماعاً أو إجازة وهي مادة مفصلة تفصيلاً دقيقاً[1].

وهكذا أفادت النجمَ رحلاتُه الكثيرة والتقاؤه بالعلماء، حيث صقلت ذهنه، وبرع في شتى الفنون، وفاق أقرانه في علم الحديث ووجه اهتمامه نحو التأليف.

وينتمي مؤرخنا إلى المدرسة المكية وذلك استناداً إلى ما ذكره ابنه العز في مقدمة كتابه «غاية المرام»، حيث قال : «وكان سيدي والدي الحافظ العمدة نجم الدين عمر .... قد سبقني لجمع تراجم كثيرة من ذلك متتبعاً لتواريخ جماعة، منها كتاب «العقد الثمين» لشيخه التقي الفاسي»[2] وبذلك اتخذ منهج الفاسي في معظم مؤلفاته التي ألفها، وكانت هذه المدرسة امتداداً تاريخياً وفكرياً للمد المتواصل بين الحجاز ومصر والشام، ومن المؤكد أن مصنفات الفاسي كانت من أهم الأسباب التي دفعت مؤرخنا إلى الأخذ بفكرة إعادة هيكلة التاريخ المكي في ترتيب منسجم مع الواقع التاريخي، والتسلسل الزمني، ومع خاصية الاستمرار في تسجيل الحوادث والأخبار من مولد رسول الله ﷺ إلى عصر مؤرخنا، والوقوف بها إلى قبيل وفاته[3] في تنسيق حي متجاوب الأجزاء، ومن الملامح البارزة في مادته تميزها بالأصالة والجدة، ومتابعة الأحداث المعاصرة، والنظرة النقدية العميقة.

ولم يقتصـر في ذلـك على مصنف واحد، بل ألـف سلسلة من الكتـب التاريخية. تعد مؤلفـات النجم نموذجاً مضيئـاً لإسهامات المكيين في الحركة الفكريـة في القرن التاسع

(١) النجم ابن فهد . **معجم الشيوخ**، ص ١٩٥ .

(٢) العز ابن فهد . **غاية المرام** . **المقدمة**، ج ١، ص ١٨ .

(٣) النجم ابن فهد . **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، ص ٥-٦.

الهجري، فقد وظف ثقافته في خدمة منظوره التاريخي المتسم بطابع إجلال العلم وأهله، ومعرفة أحوال من سلف للاعتبار والتنبيه والتلذذ واستشراف المستقبل[١].

ويبدو واضحاً من قائمة المؤلفات التي ذكرتها المصادر ونسبتها إلى النجم، أنه كان نشطاً منتجاً، خصب العطاء، وأن إنتاجه كان متشعباً في الحديث وعلومه، وفي التاريخ والأدب وفنون الفهرسة، وربما لا أعدو واقعاً إذا أشرت إلى خدمته للتراث وحفظه، بنسخ الكثير من الكتب العلمية، وجمع المجاميع، وتعليق الفوائد على المصنفات السابقة[٢]. وهو في كل ذلك يحدد ملامح عصر العموم لا الخصوص، عصر الموسوعات والمجاميع والمعاجم.

هذا وقد ترك مؤرخنا ثروة تاريخية مهمة في تاريخ مكة، حيث بلغت مؤلفاته أكثر من ثلاثين كتاباً.

المنهج التأليفي:

فإن كتاب «الدر الكمين بذيل العقد الثمين» كما هو واضح من عنوانه ذيل على كتاب العقد الثمين للفاسي الذي تناول الفترة من القرن الأول الهجري وحتى وفاته عام ٨٣٢هـ[٣]. وتناول النجم ابن فهد في كتابه تراجم أهل مكة وترجم فيه لمعاصريه ممن مات بعد وفاة مؤلف الأصل أو ظهر بعده، كما أضاف تراجم جديدة للمكيين تركها الفاسي سهواً أو غاب عنه أمرها، وتكمن أهميته في أنه مكمل لمؤلف الفاسي واستمر في تراجم علماء مكة ومؤلفاتهم لمدة خمس وخمسين سنة مبتدئاً بعام ٨٣٢هـ وحتى عام ٨٨٥هـ تاريخ وفاة النجم بن فهد[٤].

أ - **اختلاف حجم التراجم الواردة بكتابه**، فهي تتفاوت طولاً وقصراً بحسب مقاييس النجم حسب منزلة المترجم له ومكانته السياسية والاجتماعية والعلمية، كذلك حسب

(١) النجم ابن فهد . **إتحاف الورى**، ج ١، ص ٤/ ٥ . الكتاني . **فهرس الفهارس**، ٦٦٩ . الزركلي . **الأعلام**، ج٥، ص٦٣. محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص١٨٤.

(٢) البغدادي . **هدية العارفين**، م ١، ص ٧٩٤. المحبي، محمد أمين فضل الله . **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**.- بيروت : دار صادر، ص ٤٥٧-٤٦١.

(٣) **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ؛ تحقيق عبدالملك بن دهيش .- بيروت : دار خضر، ١٤٢١هـ.

(٤) محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص ١٥١/١٥٢/١٥٣.

توافر المادة العلمية لديه، فنرى أن بعض التراجم لا تعدو السطر الواحد بينما أخذت بعض التراجم عدة صفحات مثال ذلك ترجمة محمد بن بلال المغربي الشيخ الصالح قال في ترجمته: مات عصر يوم السبت مستهل صفر سنة ست وثلاثين وثمانمئة بمكة(١). بينما تناولت ترجمته لعلي بن إبراهيم بن علي بن رشاد اليمني الإبي أحد معاصريه عدة صفحات [تسع صفحات] (٢).

ب - **ترجم فيه للرجال المعروفين بكناهم** سواء من عرف بكنيته ولم يعرف له اسم أو من عرف بكنيته وإن كان اسمه معروفاً، كما يلاحظ على النجم ابن فهد حسن ظنه بالمترجم لهم وعدم تتبعه زلات الناس فلا يذكر من الترجمة إلا ما هو حسن وإذا ذكر غير ذلك يعقبه بقوله سامحه الله على ذلك(٣).

ج - **اتبع النجم ابن فهد منهج مؤرخي الإسلام** من حيث اتباع طريقة النظام المعجمي فهو مرتب حسب حروف المعجم إلا أنه لم يتبع طريقة الترتيب الأبجدى منذ البداية، حيث دفعه حبه لمؤرخ الأصل محمد بن أحمد الفاسي تقي الدين الذي فضّل أن يبدأ تراجمه بالمحمدين والأحمدين بحرف الميم وسار في ذلك حتى نهاية حرف الميم ثم نجده ينتهج منهجاً جديداً، حيث تبعه بترجمة من اسمه أحمد ويليه ترجمة من يسمى إبراهيم في سابقة حديثة على كتاب التراجم في الإسلام، حيث يقدم أحمد على إبراهيم في الترتيب الأبجدي ثم يتابع النجم ابن فهد بعد ذلك تراجمه على حروف المعجم حتى نهاية مؤلفه.

د - **يلاحظ على كتاب النجم ابن فهد** أنه خص في نهاية كتابه جزءاً خاصاً ضخماً لتراجم النساء بعد أن انتهى من أبواب وفصول تراجم الرجال ضمت مئتين وستاً وثمانين ترجمة لأشهر نساء عصره بدأها حسب حروف المعجم بترجمة آسية بنت جار الله بن صالح بن أبي منصور أحمد بن عبد الملك الطبري المكي(٤).

---

(١) ابن فهد. **الدر الكمين**، م١، ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق: م٢، ص٩٩٤-١٠٠٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن فهد . **الدر الكمين**، م٢، ص١٣٩٦.

راعى النجم في طبيعة تراجمه الشمول النوعي، فهو لم يقتصر على نوع من الأعيان فقد تنوعت تراجمه فشملت الأمراء[1] والعلماء والقواد والمستشارين[2] والتجار[3] وأصحاب المهن[4] والوظائف[5] ونزلاء مكة والمجاورين فيها وسنوات المجاورة[6]... إلخ. كما أنه لم يكتب بالترجمة للمشهورين، بل ترجم للمغمورين والمجاذيب ونحوهم[7].

هـ- **ذكر مصادر معلوماته**: اعتمد النجم ابن فهد بشكل كبير في جمع المادة العلمية على مسموعاته ومشاهداته خلال مدة حياته وإقامته بمكة المشرفة ومع ذلك فقد رجع إلى بعض المصادر وخاصة عند تراجم من سبقه ممن لم يعاصره، منها: كتاب الأذكياء لابن الجوزي، وأبناء الغمر لابن حجر، الإشارة لشمس الدين الذهبي، التاريخ لأبي عبد الرحمن السلمي، الدرر الكامنة لابن حجر، السلوك لدول الملوك للمقريزي، العبر لشمس الدين الذهبي، المدارك للقاضي عياض، النسب للزبير بن بكار، انتخاب الصلاح للاقفهسي، تاريخ الإسلام للذهبي، الوافي بالوفيات للصفدي، وتاريخ اليمن لحسين الأهدل، تاريخ اليمن للخزرجي، تاريخ بغداد للخطيب، تاريخ حلب لابن العديم، تاريخ مصر لابن يونس، تاريخ مصر للقطب الحلبي، ترتيب ثقات العجلي للهيتمي، تعاليق ابن العباس الميورقي، تعاليق إسماعيل الأمين، تعاليق المراكشي، تهذيب التهذيب لابن حجر، الثقات لابن حبان، ديوان الغزل لابن عربي، ذيل الأعلام لابن قاضي شهبة، ذيل تاريخ بغداد لابن السمعاني، الرسالة للقشيري، شرح البخاري لابن عدي، طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة، طبقات الحفاظ للذهبي، طبقات الصوفية لإبراهيم القادري، العقود للمقريزي، عمدة الطالب في نسب أبي طالب، الكامل لابن الأثير، لسان الميزان لابن حجر، مجاميع أبي العباس الميورقي،

(١) المصدر السابق، م ١ ص ٨٦ .

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٥) المصدر السابق، ص ١١٥.

(٦) المصدر السابق، ص١١٦.

(٧) المصدر السابق، ص ٩١.

مختصر الوافي بالوفيات لابن حجر، معجم الصحابة للبغوي، معجم ابن الحاجب، معجم تقي الدين بن فهد، وفيات الشيخ ولي الدين العراقي[١].

فالنجم ابن فهد مثلاً يذكر في نهاية ترجمته محمد بن يوسف بن أحمد بن صالح بن عبد الرحمن القرشي العبدري الشيبي المكي الشافعي يقول: نقلت هذه الترجمة من خط المحدث شمس الدين بن سكر[٢].

و - **معاصرته للأحداث التاريخية**. كان النجم ابن فهد معاصراً لأغلب شخصياته، بل كانت بينه وبين عدد كبير منها صداقات وملازمة في طلب العلم، فحمل ذلك آراءه طابع الصدق والموضوعية باعتباره شاهداً على كثير من أحداث شخصياته؛ فعند ترجمته لعلي بن صالح بن عبد الله الجواهري المتوفى جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وثمانمئة يقول: أجاز له ولإخوته باستدعائي في سنة ست وثلاثين وثمانمئة ومن أجاز له أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن ظهيرة[٣]. فقد كان ابن فهد معاصراً لكثير من أحداث مكة التي وقعت في القرن التاسع الهجري.

ز - **اعتماده على مشاهدة الآثار التاريخية رأي العين**، حيث لم يكتف النجم ابن فهد بالنقل من المصادر التي عاصرت الأحداث السابقة عليه حين ترجمته لأصحابها، بل كان يبحث ويسعى للوقوف على الآثار الدالة على صدق ما ذكرته المصادر وذلك توثيقاً لمعلوماته وإمعاناً في تحري الصدق الذي تميز به وحملته مؤلفاته فهو حين يذكر وفاة محمد بن حمزة العباسي يوم السبت تاسع شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة فإنه يؤكد ما نقله بقوله: هكذا رأيت ذلك في حجر تربة ابن سلامة بالمعلاة[٤]. هكذا كان النجم ابن فهد أحد أبناء مدرسة التاريخ المكي ممن حملت كتاباتهم عنصر الصدق والأمانة وتحري صحة الخبر وتتبعه والوقوف على آثار الأقدمين والوصول إلى الخبر الصحيح وكان أحد كتاب التراجم الكبار بمدرسة التاريخ المكي.

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٣٤-٣٨.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٤١٦.

(٣) ابن فهد. **الدر الكمين**، ج٢، ص١٠٣١.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص١٣٧.

محمد الشلي وكتابه «عقد الجواهر والدرر في أعيان القرن الحادي عشر»:

محمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي بكر بن علوي . ترجم لنفسه في مؤلفه المشرع الروي: أنه ولد منتصف شعبان سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠هـ[١] بمدينة تريم اليمنية ودفن بالمعلاة بمكة المكرمة سنة (١٠٩٣هـ)[٢] يذكر العجيمي وهو أحد تلامذته أن بعض أساتذته لقبوه جمال الدين، وكني بأبى علوي[٣].

نشأ هناك على العلم في بيت اشتهر بفنون العلم وألوان المعرفة، حيث اعتنى به والده العالم أبو بكر الشلي الذي اهتم بتعليمه دينياً وتثقيفه وبتحفيظه القرآن على عادة اسلافه، ومنذ صغره تميز بالذكاء الفطري والموهبة العظيمة في الفهم والحفظ، فأرسله والده إلى عبد الله بن عمر باغريب ليحفظ القرآن على يديه فاستطاع أن يختمه وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره كما كان مائلاً وشغوفاً بالعلم وآمن أن تعدد المصادر والمشارب هي التي تؤهله ليكون مميزاً أو بارزاً في علمه لذلك قرر أن يأتي إلى مصب العلم لينهل منه فشد العزم على الترحال إلى مواطن ومناجم المعرفة . كانت أولى رحلاته إلى الهند، حيث ذهب إلى بيجافور وكانت غاصة بالعلماء الأعلام، فاتصل بهم ودرس على أيديهم كثيراً من العلوم وخاصة علوم اللغة العربية[٤].

ومكث في الهند أربع سنوات كانت مثمرة في تاريخ حياته، حيث صقلت موهبته وشحذت فكره وأظهرت مكنون علمه واستفاد ثقافة وعلماً وخلقاً ثم غادرها إلى بلاد

---

(١) الشلي، محمد بن أبي بكر . **المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي** ؛ تحقيق محمد أحمد الشاطري٠- جدة، ١٤٠٢هـ ، ج ٢، ص٣٢ . حسن عجيمي . **خبايا الزوايا** ، ورقة ١٩٢أ ، مرداد . **المختصر من كتاب نشر**، ص٤٤٨.

(٢) الشلي . **المشرع الروي**، م ٢، ص ٣٨ . الزركلي . **الأعلام**، ج ٦، ص ٦٠.

(٣) راجع ترجمته عند محمد بن أبي بكر الشلي . **المشرع الروي في مناقب آل أبي علوي**؛ نشر محمد بن أحمد الشاطري دون تحديد مكان وتاريخ النشر، ص٣٨ . حسن العجيمي . **خبايا الزوايا** ورقة ٩٤. المحبي . **خلاصة الآثر**، ص ٣٣٦ . مرداد. **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**، ص ٤٥٥ . عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي. **أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري** ٠- لندن : مؤسسة الفرقان ، ٢٠٠٠ م ، ح ١، ص ٥٦٩ . كحالة : **معجم المؤلفين**، ح٩، ص١٠٥. محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخين بمكة**، ص ٣٥٢.

(٤) المحبي : **خلاصة الأثر**، ج٣ ص٣٣٦ . الشلي . **المشرع الروي**، م٢، ص ٣٨ . الزركلي. **الأعلام**، ج٦، ص ٦٠ . العجيمى : **خبايا الزوايا** ، ورقة ١٩٥ ب.

الحرمين الشريفين خصوصاً مكة، حيث كانت كعبة العلم يجتمع بها العلماء والمفكرون الوافدون إليها من كل أنحاء العالم الإسلامي، حيث كان هؤلاء العلماء يترددون إلى المدينتين المقدستين اللتين بهما يلتقي رجال العلم والفقه والأدب والتاريخ الذين يأتون للحج والزيارة ويؤخذ عنهم إذ فيهما كانت تعقد الحلقات العلمية والمناظرات الفقهية[١] مما كان له انعكاس واضح على مؤلفاته.

وفي مكة التقى الشلي بعدد كبير من العلماء فدرس على أيديهم كثيراً من العلوم مثل: علم الميقات، وعلم الفقه والتصوف وعلم التفسير، والبيان والبديع والمعاني والنحو والصرف والمنطق وعلوم الحديث. وقد حصل الشلي من هؤلاء الشيوخ من بلاده اليمن والهند ومكة المكرمة على إجازات علمية تتيح له تدريس العلوم التي تلقاها عنهم وأن يسمعه الآخرون وأشار هو نفسه إلى ذلك، حيث قال: « وأجازني غير واحد من مشايخي بالإفتاء والتدريس»[٢].

وبعد حصوله على هذه الإجازات جلس للتدريس في رواق المسجد الحرام في موضع تدريس الشيخ علي بن الجمال، عن يسار الداخل من باب السلام، عدة أعوام، ثم انقطع لمرض أصابه وجلس في دهليز بيته عدة سنوات ولم ينشرح صدره للعودة لرواق الحرم[٣].

كما أخذ عنه عدد كبير من التلاميذ الذين نبغوا وأصبحوا من سادة العلماء في عصرهم وأبرزهم:

- إدريس بن أحمد بن إدريس بن علي الشماع المتوفي (١١٢٦هـ).
- إمام الدين بن أحمد بن عيسى المرشدى مغنى مكة المتوفي عام (١٠٨٥هـ).
- حسن العجيمي المكي صاحب خبايا الزوايا.

وأشار هو إلى كثرتهم بقوله: «وأخذ عني خلق كثير في عدة أعوام وطلبوا الإجازة فأجزتهم»[٤].

عاش الشلي حتى بلغ من العمر ثلاثة وستين عاماً قضى معظمها في مكة، وذكر المحبي

---

(١) المرادي . **سلك الدرر**، ج ٤، ص ٦٨.

(٢) الشلي . **المشرع الروي**، ص ٤٠٢ . المحبي . **خلاصة الأثر**، ج ٣، ص ٣٣٧ . محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص٣٥٣.

(٣) العجيمي. **خبايا الزوايا** ورقة ٩٥/ب. الزركلي . **الأعلام**، ج ٦، ص ٥٩.

(٤) راجع الشلي. **المشرع الروي**، ح ٢، ص ٤١ .

أنه ترك بها عقباً أولاداً عاشوا بها بعد وفاته[1].

كان غزير الإنتاج متنوعه، وظل يؤلف طوال نصف قرن إلى حين وفاته وقد ألف كتباً تاريخية، كما أنه برع في علم الفلك واهتم به معادلاً لاهتمامه بالتاريخ؛ لذلك أطلق العلماء القدماء عليه لقب الأستاذ أو الفلكي ومن أبرز مؤلفاته:

١ - «السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر» ويعمل الباحث على إخراجه وتحقيقه[2].

٢ - «المشرع الروي في مناقب السادة آل أبي علوي».

٣ - «عقد الجواهر والدرر في أعيان القرن الحادي عشر» وهو الذي نقدم له الآن، ولقد انتهى الباحث من تحقيق الكتاب وسيدلف قريباً إلى المطبعة.

كما أن له مجموعة من كتب الفلك وذلك لاهتمامه بهذا العلم من أهمها.

١ - رسالتان مطولتان في علم الميقات بلا آلة.

٢ - رسالة في معرفة ظل الزوال كل يوم لعرض مكه المشرفة.

٣ - رسالة في معرفة اتفاق المطالع واختلافها.

٤ - رسالة في المقنطر.

٥ - رسالة في الربع المجيب.

٦ - رسالة من الأسطرلاب[3].

المنهج التأليفي:

يمكننا أن نضع هذا الكتاب ضمن كتب التراجم والتواريخ العامة في آن واحد، ذلك أنه يعتبر موسوعة تاريخية شاملة ازدان بمعلومات مكثفة ذات قيمة وفهم المؤلف بها فيه نوع من التوسع والعمق والشمول، حيث إنه لم يكتف بالتراجم التي أوردها فقط، بل أمدنا

---

(١) **المحبي خلاصة الأثر**. ج٣ ص٣٣٦ . الكتاني . **فهرس الفهارس**، ص٥٨٣. مرداد . **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**.

(٢) يعمل الباحث الآن على إخراجه وتحقيقه على ثلاث نسخ من دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٦ تاريخ، والأخرى النسخة التيمورية وتبلغ صفحاتها (٨٠٠) صفحة وأضاف إليها أحمد تيمور فهارس في (٥١) صفحة، الثالثة نسخة مكتبة شستربتي برقم ٥٢٣٠ وعدد صفحاتها (٣٥٧) نسخها أحمد عيسى الشافعي في عام ١١١٨هـ.

(٣) راجع في ذلك : **المحبي الخلاصة**، ج٣ . س٣٣٦ . العجيمي . **خبايا الزوايا**، ص٩٤. **المشرع الروي**، ج٢، ص٤١.

بمعلومات عامة كان معاصراً لها خصوصاً عن الحجاز واليمن[١].

رسم المؤلف خارطة منهجه في مقدمة الكتاب، حيث أوضح أسباب تأليفه للكتاب، فذكر فضل علم التاريخ لما فيه من فوائد وعبر وإفادة لمن يأتي من البشر، وأيضاً مفاكهة للفضلاء عند السمر، وفي القرن الحادي عشر الذي عاش فيه المؤلف عدد كبير من الأفاضل في كافة المجالات؛ لذا عمل المؤلف على جمع أخبارهم بين دفتي كتاب يكون واسطة لنقلها إلى الأجيال التالية، وهو ما نعتبره وعياً بدور الفرد العالم في المجتمع.

بدأ المؤلف كتابه بذكر تراجم السنة الأولى بعد الألف واستمر حتى عام ثلاثة وتسعين وألف وهي سنة وفاته، ونعتقد أن هذا الكتاب هو تكملة لكتابه السابق السنا الباهر بتكميل النور السافر وهو الكتاب الذي توقف فيه عند عام ١٠٠٠ هـ. ومات الشلي أثناء عمله في هذا الكتاب الذي ترك بعض تراجمه دون أن يكملها[٢].

لم يخصص الشلي تراجمه لفئة معينة أو لأسرة معينة وإنما جاءت تراجمه شاملة ومتنوعة، فقد ترجم لسلاطين آل عثمان، وحكام الحجاز واليمن، وعلماء من كافة أرجاء العالم الإسلامي مع التركيز على علماء الحجاز واليمن والواردين إلى مكة والمدينة من كافة أرجاء العالم الإسلامي لذا فالباحث في تاريخ تلك البلاد يمكنه أن يستخرج معلومات مهمة في كافة مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والعلاقات العلمية بين علماء البلدان الإسلامية المختلفة، والحج ودوره في زيادة وانفتاح العلاقات والروابط بين أبناء العالم الإسلامي، والحرمين ودورهما في بث الإشعاع العلمي آنذاك، والتصوف وانتشاره، والتطور العمراني في الحجاز واليمن، وهو في ذكره لهذه الحوادث التاريخية يذكرها بدقة بالغة، حيث يحدد تاريخ حدوثها بالسنة والشهر واليوم وأحياناً بالساعة والبرج[٣].

وهو يذكر كثيراً من المعلومات عن الحرم المكي بحكم عيشه في مكة، وذكر معلومات

---

(١) الهمزاني، بندر. **المنهج التاريخي لمؤرخي مكة المكرمة** - الرياض: مكتبة الملك فهد، ١٤١٨هـ، ص٢٩٧.

(٢) الشلي. **عقد الجواهر والدرر**.

(٣) الشلي. **عقد الجواهر والدرر**.

كثيرة عن عمارته والسيول التي أصابته، فعلى سبيل المثال يذكر قصة تعمير الكعبة بعد سقوطها من جراء السيل الذي نزل بمكة المكرمة عام ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م ويصف تلك العمارة ونفقاتها وصفاً دقيقاً بحيث يصبح هو المصدر الرئيس عنها . وفي حديثه عن الحرم المكي يصف الحلقات العلمية والمحاضرات التي كانت تعقد به ويصف الأماكن التي تعقد بها وأسماء العلماء الذين كانوا يدرسون به، بل والعلوم والكتب التي يدرسونها(١).

ومن أهم الحوادث التاريخية التي أوردها المؤلف تلك الخاصة بمكة المكرمة وحكامها من الأشراف وعلاقاتهم فيما بينهم، وكذلك علاقاتهم بالدولة العثمانية وحكام جدة واليمن، ومعلومات عميقة وافرة عن أعمال كل أمير من أمراء مكة(٢).

رجع المؤلف في كتابه إلى نوعين مهمين من المصادر هما :

أ - **المصادر المقروءة** والتي استعان بعدد كبير منها وهي أساس موارد الكتاب والمكون الرئيس لمادته وقد استوعبها الشلي بشكل جيد؛ إلا أنها لم تكن تمثل الموارد الحقيقية في الكتاب.

- فهو أحياناً يذكر اسم المؤلف واسم المصدر؛ فمثلاً عند الترجمة ليحيى الأصيل المصري يقول : قال شهاب الدين أحمد أفندي بن محمد بن عمر الخفاجي في كتابه ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا وينقل من الكتاب بشكل مفصل(٣).
- وعند الترجمة لأحمد بن عبد الرحيم باجابر يقول : قال الشيخ عبد القادر بن شيخ؛ ثم ينقل المعلومات بالمعنى وبتصرف واف(٤).
- في بعض الأحيان يعود المؤلف إلى أوراق مكتوبة دون ذكر اسم كاتبها، فعند الترجمة للسيد شيخ بن عمرو بن شيخ بن عبد الله السقاف يقول :
- وكنت رأيت بخط بعضهم أن انتقاله كان ......(٥) ولكنه لم يحدد لنا اسم هذا البعض؛ وفي الترجمة نفسها يتحدث عن موت صاحب الترجمة فيقول: وانتقاله في هذا العام

(١) الشلي . **عقد الجواهر والدرر**، ورقة ٨٦، ١٢١، ١٩١ .

(٢) الشلي . **عقد الجواهر والدرر**، ورقة ١١٨، ١٥٦، ١٨٧، ١٨٨ .

(٣) الشلي . **عقد الجواهر والدرر** ب، ورقة ٣ .

(٤) المصدر السابق، ورقة ٥ .

(٥) المصدر السابق، ورقة ٦ .

هو الذي ذكره سيدي الوالد رحمه الله فلم يحدد لنا من أي شيء ذكره الوالد هل كان سماعاً أم من أحد كتب والده[1].

- وعند الترجمة للسلطان مراد الثالث ينقل أشعاراً في مدحه لتعميره الكعبة ولكنه لا يصرح بالمصدر الذي ينقل عنه ولا يعلم قائل الشعر فيذكر: أرخ ذلك بعض الفضلاء في قوله وأيضاً يقول: وبعضهم يقول: وذلك من دون ذكر أسماء هؤلاء ولا هؤلاء[2].

وتأتي المشكلة الحقيقية حينما يذكر اسم المؤلف دون ذكر اسم الكتاب ويكون للمؤلف عدة كتب فلا نستطيع معرفة أي كتاب يقصد، مما يسبب كثيراً من الإرباك للباحثين ليس بالخلط بين كتاب وآخر من كتبه وحسب، بل معرفة الكتاب آنفاً ومثال ذلك ما ذكره: قال العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة المتوفى ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م وله عدة كتب . وأحياناً كثيرة يذكر اسم الكتاب ولا يذكر اسم المؤلف، مما يوقعنا في حيرة في حالة وجود كتابين بنفس الاسم[3].

ويذكر الأماكن مضبوطة وهو في ذلك يعتمد على معرفته الشخصية لهذه الأماكن خصوصاً في الحجاز واليمن؛ وهو يذكر اسم تلك البلدان قديماً وفي عهده فعند حديثه عن مقتل الشريف ناجي يقول : وقتل بجانبي رأس الروم المسمى الآن بالمدعي[4].

ب - المصادر الشفوية :

استخدم مؤرخنا المصادر الشفوية من أفواه العلماء والمعاصرين مباشرة، فهو يجالس العلماء الوافدين من كافة أنحاء العالم الإسلامي إلى مكة وذلك؛ ليصحح تاريخ وفاة أحد من يترجم لهم أو يضبط اسم بلد من البلدان أو يستزيد بمعلومة من المعلومات عمن يترجم لهم. وهو في ذلك يتحرى الدقة والأمانة في أثناء نقله لهذه المعلومات التي يعمل على التيقن منها، ووصف هؤلاء الذين ينقل عنهم بالثقات والأصحاب، وكأنه يستخدم منهج علماء الحديث في كتابته[5].

(١) المصدر السابق، ورقة ١١ - ١٨ .
(٢) المصدر السابق، ورقة ٣٥.
(٣) المصدر السابق، ورقة ٢١٨.
(٤) المصدر السابق، ورقة ٣٧٧.
(٥) المصدر السابق، ورقة ٣٣٥.

ويذكر اسم من ينقل عنه المعلومة؛ فعند الترجمة لسليمان بن علي اليساري ينقل عن الأديب أحمد بن محمد الشاهد[1].

وأحياناً ينقل معلومات هو غير واثق منها، فيضعها في صيغة الشك ويقول : على ما يقال.

لا شك أن روح النقد ميزة أساسية في الحقل التاريخي . أما مؤرخنا فقد وفق في ممارسة النقد التاريخي لكثير من القضايا ولا نجد صعوبة أو إحراجاً في الإشادة بأهمية المنهج النقدي الذي طبقه في مؤلفه، فقد كشف موهبة النقد لدى مؤرخنا الشلي ويتضح ذلك في مقدمة الكتاب، حيث حدد الشلي ملامح منهجه العام في الكتاب في عدة قواعد هي :

١ - تميز وانفرد مؤلفه بغزارة المادة العلمية فاستخدم فيه دقة الأخبار والتحقيق والتمحيص والمقارنة والترجيح في الترجمة مع التثبت فيها وإيضاحها.

٢ - البعد عن الأحداث المشبعة بالأساطير والخرافات التي تنفر منها النفوس والعقول كما تميز أسلوبه بالسلاسة والابتعاد عن غرائب اللفظ والزخرفة اللفظية والألفاظ الخشنة ولذلك نجد في أسلوبه حيوية ونشاطاً.

٣ - كانت للشلي آراء كثيرة وكان أكثر مصداقية وواقعية في نقده وأقل مجاملة، كما ابتعد عن الزيغ والهوى وانتهج مسلك الاعتدال حتى مع الخصوم والأعداء وانتهاج المنهج الوسط.

٤ - نرى أن مؤلفه موسوعة تراجمية تاريخية مهمة، حيث جمع كل الأخبار التي وردت عن المترجم له في ترجمته وعمل على استقصائها من معظم المصادر التاريخية السابقة والمعاصرة له وعند الترجمة للمترجم له يقدم لنا معلومات وافية شمولية مع ذكر جميع الأمور المتعلقة بصاحب الترجمة باختصار مفيد ومرتبة عن مولده وتعليمه وثقافته ودرجته بين العلماء ومؤلفاته، وشيوخه وتلاميذه والوظائف التي تولاها، ويحرص على ذكر مذهبه الفقهي، ورحلاته وإجازاته العلمية.

---

(١) المصدر السابق، ورقة ٨.

٥ - كان يقيِّم الشخصية التي يتحدث عنها ويحكم عليها بمصداقية وواقعية، فلا يبالغ في الثناء ولذلك كان نقده للسلاطين والحكام والعلماء بكلمات أنيقة كقوله: «سامحه الله».

٦ - أنه شديد الرصانة ولا يكتفي بالنقل من الكتب، بل يستخدم التحليل في كثير من الأمور خصوصاً في الحوادث التاريخية.

٧ - يبدو من الكتاب سيطرة التصوف والصوفية على الحياة عامة، حتى أن العلماء أنفسهم تصوفوا، وأدى ذلك لانتشار البدع والخرافات التي أطلق عليها المؤلف كرامات.

٨ - تميز الطابع التاريخي في تراجمه بأسلوب أدبي راق رفيع لذلك أورد عشرات القصائد الشعرية وعلق عليها، مما يدل على تعاطيه فنون القول في الأدب واللغة بأسلوب رصين مما جعله مؤرخاً دقيقاً وأديباً مبرزاً.

رابعاً: الكتابة على السنين (التاريخ الحولى):

هو نمط آخر من أنماط المعرفة التاريخية لدى مؤرخي مكة، وقد سار عليه عدد كبير من مؤرخي الإسلام منذ بداية التأريخ الإسلامي أمثال: الهيثم بن عدي صاحب التاريخ على السنين ثم تبعه مؤرخون كبار بمختلف بلدان العالم الإسلامي.. وبمكة ظهر هذا النمط التاريخي وانتشر على أيدي مؤرخي مكة وهو بالرغم من النقد الذي وجه إلى أصحاب هذا النمط من جانب بعض المؤرخين نظراً لصعوبة تتبع الخبر التاريخي لدى القارئ متصلاً من بدايته وحتى نهايته، فقد امتاز أصحاب هذا المذهب التاريخي بالبعد الاجتماعي الكبير في كتاباتهم، حيث جاءت مؤلفاتهم موسوعات في الحياة الاجتماعية الإسلامية ونمط الحياة في ظل الإسلام، ورصدت أقلامهم تطور المجتمع الإسلامي وما ألم به من أحداث وحروب ومنازعات وصراعات وكوارث طبيعية وفتن وثورات وعادات الناس وتقاليدهم وكافة مظاهر الحياة الإسلامية.

العز ابن فهد وكتابه «بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى»:

هو عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي. نشأ بمكة المكرمة كما ينشأ أبناء العلماء في بيت العلم ورحاب المعرفة. كان لنشأة العز بن فهد في كنف جده

ووالده أثر عظيم في تحصيله العلمي، حيث اعتنى به والده منذ صغره، واستجاز به والده كثيراً من الشيوخ . سلك العز ابن فهد مسلك والده وجده في السفر براً وبحراً في طلب العلم[1] .

وقد أثنى عليه العلماء كما أثنوا على أبيه من قبل، وعلى رأسهم معاصره وشيخه السخاوي الذي أشاد به في موضعين في كتابه الضوء اللامع. ففي ترجمته قال : «وليس بعد أبيه ببلاد الحجاز من يدانيه في الحديث مع المشاركة في الفضائل وجودة الخط والفهم وجمال الهيئة وعلو الهمة والحياء والمروءة والتخلق بالأوصاف الجميلة والتقنع باليسير وإظهار التحمل وعدم التشكي وهو حسنة من حسنات بلده[2] .

كما أثنى عليه الغزي ونقل عنه ابن العماد قوله: «وبرع في علم الحديث وتميز فيه في الحجاز مع المشاركة في الفضائل وعلو الهمة والتخلق بالأخلاق الجميلة»[3] .

ويقول عنه محمد الشلي اليمني : «وانتهت إليه الرئاسة في زمانه وكان عارفاً بالعربية والفقه والنحو والحديث حافظاً للتواريخ واللغة كثير الانشغال بها[4] .

للعز ابن فهد كتب كثيرة ذكرتها المصادر والمراجع ولكن لم يعثر إلا على القليل منها، ومن ذلك:

- غاية المرام في أخبار سلطنة البلد الحرام . تم طبعه بمركز البحث العلمي بمكة المكرمة؛ تحقيق فهيم شلتوت[5] .

المنهج التأليفي:

سنتعمق في دراسة كتابه «بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى»[6] . الذي بدأ في تأليفه في شهر رمضان سنة ٨٨٥هـ وهو الشهر الذي توفي فيه والده وأتمه في

(١) السخاوي. **الضوء اللامع**، ج ٤، ص٢٤٤ . ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج ٨، ص١٠١ . الغزي . **الكواكب السائرة**، ج١، ص٢٣٨ . البغدادي . **هدية العارفين**، م ١، ص٥٨٣ . الزركلي . **الأعلام**، ج ٤، ص٢٤. ناصر سعد الرشيد . بنو فهد مؤرخو مكة . **مجلة العرب**، ج ١١- ١٣٩٧هـ، ص ٧٤.

(٢) السخاوي . **الضوء اللامع**، ج ٤، ص ٢٢٧ .

(٣) الغزي . **الكواكب السائرة**، ج ١، ص ٢٣٨.

(٤) الشلي . **السنا الباهر بتكميل النور السافر**، ١٦٥ .

(٥) محمد الهيلة . **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص ١٧٥ .

(٦) **بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى**؛ تحقيق صلاح الدين خليل إبراهيم، عبدالرحمن أبو الخيور، عليان المحلبدي ·- القاهرة : دار القاهرة، ١٤٢٨هـ.

جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ وهي سنة وفاته وذلك رغبة في جعل كتابه مكملاً لكتاب والده النجم عمر ابن فهد – إتحاف الورى بأخبار أم القرى، والذي رتبه على حسب السنين.

أوضح العز ابن فهد في بداية كتابه الدوافع التي دفعته لتأليف كتابه وهي:

١ – رغبته في سلوك مسلك والده في كتابه إتحاف الورى قائلاً: «ولما كان الأمر كذلك أحببت سلوك هذه المسالك وأن أقتدي بوالدي وما ألفه قبلي من حوادث بلدنا مكة المشرفة ومآثرها لإحياء معالمها وإيضاح مجاهلها ويكون ذلك ذيلاً على تاريخه المسمى إتحاف الورى بأخبار أم القرى»(١).

٢ – رغبته في إظهار أهمية علم التاريخ قائلاً: «فإن علم التاريخ جليل الفوائد كثير الصلة والفوائد إذ به يعرف أحوال الأولين والآخرين من الأكابر والعلماء والصالحين؛ لأن ذكرهم حياة جديدة والاعتناء بهم متعة أكيدة؛ ليتخلق الناظر بأخلاقهم ويتعطر السامع بأقوالهم... إلخ»(٢).

صنف العز ابن فهد كتابه ليكون حافلاً في التاريخ المكي، حيث يعد موسوعة تاريخية أكثر تفصيلاً وشمولاً وتطويلاً في سرد الأحداث لذلك احتوى موضوعات مهمة لا نجدها في كتاب أبيه وذلك في الفترة التي عاصرها كل منهما وكتب عنها، فكتاب العز كان أثرى وأكثر في المادة التاريخية وخاصة عند ذكره للوفيات والمواليد وغيرها من الحوادث الاجتماعية.

اعتنى غاية الاعتناء بالإطار السياسي لمكة المكرمة وإبرازه وذلك عن طريق تتبع أخبار الشريف وذكر بعض غزواته لبعض الأعراب كغزو عرب مطير وآل جميل(٣).

احتفل بكثافة وبعمق موسع في وصف الفترة الزمنية بعد وفاة الشريف محمد بن بركات سنة ٩٠٣هـ، والصراع بين أبنائه، وانفراد ابنه بركات بالحكم، والخلاف الذي حدث بينه وبين أخويه، وقد وصف العز هذا الصراع بالتفصيل وما ترتب عليه من نتائج انعكست

---

(١) العز ابن فهد . **بلوغ القرى**، ج ١، ص٤٦ . محمد عابد يوسف . **مجالات الكتابة التاريخية في مكة المكرمة**، رسالة دكتوراة– جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ، ص٢٣١.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق، ج ١ ، عدد من الصفحات ٥٨، ٨٦، ٨٧، ٨٨ .

على سكان مكة، وما تعرضوا له من سلب ونهب، وأحياناً للقتل، كما وصف تدهور الحالة الاقتصادية تبعاً لذلك[١]. كما ركز كل التركيز على عرض أخبار العالم والحروب والفتن التي حدثت في عصره ويذكر الصراع الإسلامي البرتغالي بصورة موجزة، حيث استقى معلوماته عن طريق الأوراق التي كانت تصل لمدينة جدة، وكذلك عن طريق القادمين إليها[٢].

توغل في الجوانب الاجتماعية ورصد بدقة متناهية النمط الاجتماعي في مكة الذي تمثل في اهتمامه بذكر المواليد[٣]، والوفيات[٤] ومراسيم الدفن، وأسماء الترب[٥] واحتفالات أهل مكة في الزواج وأنواع الزفات والأطعمة التي كانت تقدم في تلك المناسبات[٦] والطهار (الختان)[٧].

كذلك ذكر بعض الحوادث التي كانت تقع داخل المجتمع المكي من سرقات وجرائم وحرائق ودمار وغيرها[٨].

وخلاصة القول إن العز نجح وأجاد في الوصف الدقيق للوضع الاقتصادي بمكة، حيث شملت كتاباته أسعار المواد الغذائية المهمة وتغير هذه الأسعار من وقت لآخر كالقمح بأنواعه (اللقيمي المصري، الزيلعي)[٩].

كما اهتم بذكر هذا التغير في الأسعار وبررها تبريراً منطقياً كوصول أو عدم وصول الجلاب إلى مكة[١٠]، وقلة ووفرة الأمطار وما نتج عنها[١١]، والصراع بين الشريف بركات وهزاع في شهر ذي الحجة سنة ٩٠٦هـ[١٢].

---

(١) المصدر السابق، ج ١، عدد من الصفحات ١٣٠، ٢٣٥، ٢٤٠ .

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٨، ٢١١ .

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ٦٨، ٧٧ .

(٤) المصدر السابق، ص ٥٨ .

(٥) المصدر السابق، ص ١١٦.

(٦) المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٧) المصدر السابق، م ١، ص ١٩٦، ٢١١، ٢٧٦ .

(٨) المصدر السابق، م ٢، ص ٨٦، ٩٥

(٩) المصدر السابق، م ١ – ١٩٨.

(١٠) المصدر السابق، م١، ص ٢٣٦ .

(١١) المصدر السابق، م ١، ص ٢٥١ .

(١٢) المصدر السابق، ص ٥٦، ٦٨، ٩٧، ١٢٥، ١٨٦ .

كذلك شملت كتاباته إثراءً لأخبار التجار ودورهم في تفعيل الاقتصاد ومساهمتهم في انتعاش الحياة الاقتصادية، ولقد تكاثر التجار من غير العرب في مكة بشكل استدعى انتباه العز ابن فهد وأصبح يطلق عليهم التجار الأعاجم[١].

أما اهتمامه بالناحية الثقافية، فقد تركز في حديثه عن نفسه وأسرته وكان العز ابن فهد يستخدم بعض العبارات الدالة على قربه أو بعده عن الحدث أو (الخبر) نحو قوله (رأيت)[٢]، (بحضرتي)[٣]، (سمعت)، (أخبرت)، و(بلغنا)، و(ظننا)، و(تحققنا)، و(الذي عرفناه)، و(الله أعلم)، (ولا أعلم).

وعند عدم تحققه من صحة بعض الأحداث نتيجة لغيابه عن مكة كان يشير إلى ذلك بقوله: «وغير ذلك مما لم أتحقق لغيبتي من مكة بوادي مر»[٤].

ولقد تتبع الأخبار الخارجة عن مكة المكرمة وذلك عن طريق :

١ - القاصدين إلى مكة وما يحملونه من كتب وأخبار ومعلومات عن البلاد التي قدموا منها مثل ذلك قوله: «وصل بدوي من ينبع مرسول من قاصد الشريف محمد بن بركات .. ومعه أوراق للناس من مصر وفيها أخبار ليست سارة»[٥].

٢ - وعن طريق المراسلات والكتب التي كانت تصل إليه من أصدقائه والتي دون بها بعض الأخبار المتعلقة بالمدينة والقاهرة . كقوله : «ووصلنا كتاب من صاحبنا الفخر الشلح محصله أن البلاد مقحطة جداً والغلاء زائد ... وتاريخ الورقة خامس عشري ربيع الأول سنة ثلاث وتسعمائة»[٦].

تميز منهج العز بكثرة مشاركته، فهو لا ينقل فقط وإنما يناقش وينقد ويعلق ويضيف على بعض الجوانب داخل المجتمع المكي التي قد لا تخل بالتركيبة العامة له.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠١، ١٣٦، ١٤٨ .

(٢) المصدر السابق، ص٣٦ .

(٣) المصدر السابق، ص ٨٩، ٨٣، ٦٥، ١١٦، ١٣٧، ٢٣، ٩٣، ٨٠، ١١٦، ٢٣٢.

(٤) المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٥٥ .

(٦) المصدر السابق، ص ١٧٦ .

- نقده للحجاج عند ذبحهم للشياه ورميها في طرقات منى وما يصدر عن ذلك من روائح كريهة[1].

- نقده لرمي المزارعين ببعض المزروعات لتلفها وعدم وجود ما يحمِل عليها[2].

أما تعليقاته فمنها:

- تعليقه على نهب عرب عتيبة لوادي الخيف وهروب أهله[3].

- تعليقه على عدم وصول الحجاج المصريين والشاميين لحج عام ٩١١هـ قائلاً : «والله يخلف على المسلمين»[4].

كما أنه كا يحلل بعض التصرفات والأعمال مثل:

- تحليله لتفشي الفقر والمرض في أبناء البادية في أحداث ربيع الأول سنة ٨٩٩هـ قائلاً: «فالناس قد قل خيرهم جداً وصار الفقير محروماً».

يعتبر العز بن فهد من الرواد الأوائل الذين تطرقوا بإسهاب في الحديث عن الجانب الاجتماعي في مكة بشكل أبرز فيه تطور المجتمع المكي في ذلك الوقت مقارنة بالمجتمع الشامي والمصري وغيره، ويدل ذلك على الحس الاجتماعي ومدى انتماء العز ابن فهد لمدينة مكة المكرمة.

يعد كتاب العز ابن فهد هذا من كتب التاريخ المكي الأولى التي تميزت بطابع خاص بها لما يتضمنه من معلومات تاريخية مهمة والوصف الدقيق والشامل للوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري، فقد عكس لنا بحق عادات وتقاليد المجتمع المكي في عهده والعهود السابقة له، وهذا يعود بالطبع إلى طريقة التأليف التي سار عليها المؤلف وكتب عنها حال وقوعها، فهو شاهد عيان لأغلب أحداثها بسبب حرصه على التدوين الفوري للأحداث، مما أثرى كتاباته عن الناحية الاجتماعية من جوانبها المتعددة.

---

(١) المصدر السابق، ص ١١١ .

(٢) المصدر السابق، ص ٩٦ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٣ .

(٤) المصدر السابق، ص ٢٦٠ .

اعتماده على المصادر الأصلية المعاصرة له اعتماداً منه على مشاهدة الحدث بنفسه؛ كونه أحد معاصريه وجاء كتابه خير دليل على ذلك، فعند تعرضه لأحداث ذي الحجة عام ٨٨٦هـ يقول: وفي ليلة السبت سادس الشهر وصل أمير المحمل الشامي أمير مئة إلى مكة وطاف وسعى وعاد إلى الزاهر وبات به إلى أن خرج للقائه في الصبح السيد محمد بن بركات فخلع عليه ودخلا جميعاً إلى الأبطح وعاد الشريف إلى مكة[١].

إلمامه الشديد بكافة تفاصيل الحياة المكية؛ فقد كان العز ابن فهد على دراية تامة بكافة أمور الحياة الاجتماعية بمكة ووقف على أدق التفاصيل بها من خلال علاقاته القوية مع كافة طبقات المجتمع المكي وخاصة طبقة العلماء والفقهاء وطلبة العلم ورجال الدين والقضاء، وكان على دراية بمجريات الأمور بها كبيرها وصغيرها بين ذلك قوله في أحداث شهر شوال عام ٩٠١هـ: وفي ليلة السبت سادس الشهر سافر نائب جدة لمحل ولايته / جدة والسيد الشريف صاحب مكة إلى أرض حساب بوادى مر للإشراف على أمواله وبيعها ويتوجه إلى جدة[٢]. ومن ذلك ذكره لأحداث الوفيات بشكل مستمر طوال تاريخه دون النظر إلى مكانة المتوفى الاجتماعية أو العلمية فعند تناوله لأحداث شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وتسعمئة يقول: وفي ليلة الأربعاء حادي عشر الشهر ماتت بنت محمد بن عمر وصلي عليها بعد صلاة الصبح ودفنت بالمعلاة[٣].

معاصرته لكثير من الأحداث السياسية ومكانته لدى ولاة الأمر من أمراء مكة وأشرافها وأهل الحل والعقد بها، مما أتاح له فرصة الوقوف عن قرب على حقيقة الأحداث السياسية وكشف الصراعات القائمة بين الأمراء والأشراف حول كرسي الإمارة والوقوف على حقيقة النزاعات والفتن والثورات التي تشهدها مكة بين الحين والآخر فجاء كتابه سجلاً وافياً لأحداث تاريخ مكة خلال فترة طويلة عاشها العز ابن فهد وما سجله بكتابه خير شاهد على ذلك.

---

(١) المصدر السابق، م١، ص ١٨٤.

(٢) نفسه، م٢، ص٩٤٣.

(٣) نفسه، م٣، ص١٥٢١.

هذا إلى جانب تناوله للأحداث بأسلوب سهل بسيط شيق يغلب عليه الطابع العامي مما يجعل فهمه سهلاً لدى جمهور القراء، فكان بحق نموذجاً لمؤرخي مكة أصحاب المنهج الحولي.

الخاتمة:

لقد أدى علماء التاريخ المكيون دوراً كبيراً في ترسيخ مبادئ علم التاريخ الإسلامي، وذلك بما تركوه لنا من تراث عظيم، وإن كان قد ضاع منه الكثير، إلا أن ما نقل عن تلك المصادر من قبل المؤرخين التاليين لهم الذين أخذوا منهم يوضح عظم ما قدموه من رصد التاريخ الإسلامي وعلى وجه الخصوص تاريخ البلد الحرام.

ولكن ما يميز علماء مكة ممن كتبوا التاريخ أشياء كثيرة تتضح في تأثرهم بعلوم الحديث وعلوم السيرة، من الاهتمام بالإسناد، والتحقق من الرواة، وهذا يمنحهم الثقة الكبيرة .. وفي الواقع فإن التاريخ الإسلامي لا يختلف كثيراً عن السيرة، حيث إن السيرة النبوية تعد جزءاً من ذلك التاريخ، وعلى وجه التحديد بدايته.

بالإضافة إلى ذلك فإن أثر التاريخ الإسلامي كبير على المسلمين حتى وقتنا هذا، حيث إنه إلى الآن توجد فرق وجماعات تبتعد أو تقترب من صحيح الدين بدرجات مختلفة، قامت نتيجة لحدث تاريخي معين، وتأثرت بتلك الأحداث، وعملت على تشكيل أفكارها وعقائدها، لذلك فإن الثقة في المؤرخ هي في الحقيقة دعم وتأييد للعقيدة والاتجاه الديني.






























































































































































